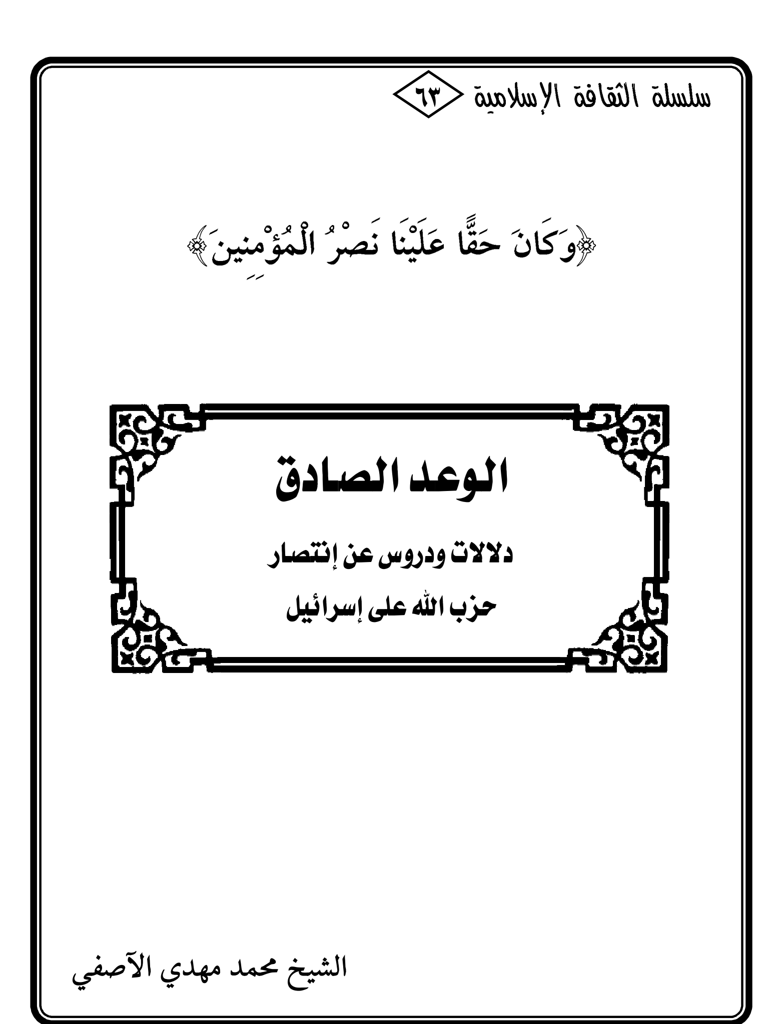


مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات

الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله

اسم الكتاب: .... الوعد الصادق

المؤلف: .... محمّد مهدي الآصفي

تاريخ الطبع: .... ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠م

الكمية: .... ٣٠٠٠ نسخة

المطبعة: .... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ، وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه، فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَوْلاَكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾

الأنفال:٣٩ ـ ٤٠

المدخل

قاوم (حزب الله) الجيش الإسرائيلي نحواً من خمسة أسابيع في مواجهة شرسة أدخلت فيها إسرائيل سلاحها البري والجوي والبحري والّياتها العسكرية المتقدمة، ولم تتمكن أن تحرز أي تقدم عسكري حقيقي خلال هذه المدة....

لقد كشفت حرب الثلاثة والثلاثين يوماً أن الانطباع الموجود عند الأنظمة العربية عن الجيش الإسرائيلي وقوتها الهائلة، وإمكاناتها الضخمة وقدراتها العسكرية، لا تتجاوز أن تكون أُسطورة من نسج الخيال الإسرائيلي، والهزيمة النفسية للأنظمة العربية. ومن وراء هذه الأُسطورة الإعلام الإسرائيلي والاستكباري الكاذب، والحرب النفسية التي تحسن إدارتها إسرائيل، وهي قائمة على الكذب والاختلاق.

ولقد كشفت المواجهات الأخيرة التي خاضها شباب حزب الله ضد الجيش الإسرائيلي ثغرات الضعف الكبيرة في الكيان العسكري الإسرائيلي.

إنّ من الخطأ أن يحتقر الإنسان عدّوه، فلا يأبه به، ولا يهتم له، ولا يراقبه بحذر، ولا يحتاط له... ولكن في نفس الوقت من الخطأ أن يتهيّب الإنسان عدوه، ويشعر تجاهه بالهزيمة النفسية

والضعف والعجز.

إنّ (حزب الله) مقاومة محدودة، في بلد صغير محدود، وبتسليح محدود، وعتاد محدود، وإمكانات مالية وإعلامية محدودة، إستطاع أن يحبط لوحده أُسطورة الجيش الذي لا يُقهر، ولم يتمكن الجيش الإسرائيلي بكل تجهيزاته الحديثة، وبكل همجيته أن يسجل إنتصاراً عسكرياً حقيقياً على حزب الله.

وسوف تحاول إسرائيل أن تستعيد هيبتها العسكرية، الأُسطورية في العالم الإسلامي والعربي، ولكن عبثاً تحاول ذلك، وما فقدته إسرائيل في جنوب لبنان، على أرض الواقع لا تعوضه بالإعلام الوهمي الكاذب، والحرب النفسية مرة أُخرى.

إنّ القتال الضاري الذي جرى بين(حزب الله) و(إسرائيل) كان إيذاناً لمرحلة جديدة من الصراع الإسلامي الإسرائيلي (أو العربي الإسرائيلي)، وكان القفزة النوعية الثانية في المواجهة الجارية بين المقاومة وإسرائيل.

كانت القفزة الأُولى إنسحاب إسرائيل من أراضي جنوب لبنان بعد أن عجزت من مواجهة حزب الله.

ثم كانت القفزة النوعية الثانية هزيمة إسرائيل في مواجهة حزب الله، عندما اخترق حزب الله الحواجز الأمنية الإسرائيلية وأسر جنديين إسرائيليين، وقتل ثمانية من جنوده، ولم تتمكن إسرائيل

خلال خمسة أسابيع(من القتال) مع حزب الله أن تحرز نصراً عسكرياً حقيقياً في مواجهته مع حزب الله.

ونظراً لأهمية هذا الحدث في مواجهتنا العسكرية الحضارية لإسرائيل، فسوف نحاول، إن شاء الله، أن نستخلص مجموعة من الدروس والدلالات من (حَرب الأسابيع الخمسة) تنفعنا في واقعنا العسكري والإعلامي والسياسي، وفي علاقتنا بأمريكا، وإسرائيل، ومجلس الأمن، وفي تحديد الموقف من الأنظمة العربية، وعلاقتنا بالأُمة الإسلامية الكبيرة، والحركة الإسلامية المعاصرة.

وفيما يلي مجموعة من المطالعات والدروس والدلالات والتأملات التي تكتنف هذا الحدث التاريخي الكبير.

محمّد مهدي الآصفي
النّجف الأشرف
رجب ١٤٢٧ هـ

(١)

المشروع الإسرائيلي في إعلان الحرب على حزب الله

التّوجيه الشّرعي لعملية حزب الله

كانت القضية في البدء اختراقاً شجاعاً للحواجز الأمنية الإسرائيلية من قبل شباب حزب الله وقتل جنود ثمانية للكيان الصهيوني وأسر إثنين منهم.

وكان التوجيه الذي أعلنه حزب الله لهذه العملية الشجاعة كافية لتبرير الاختراق والقتل والأسر، على صعيد القانون الدولي.

فإن لحزب الله رهائن في سجون إسرائيل، إختطفتهم إسرائيل من الأراضي اللبنانية، وهؤلاء في القانون الدولي رهائن، ولا يعدون من الأسرى ولحزب الله الحقّ في إستنقاذ رهائنه من سجون إسرائيل، عندما تعجز المنظمات الدولية عن المطالبة بحقوقه، فهو يريد أن يمسك بأسرى من الكيان الصهيوني ليطالب بهم الرهائن اللبنانيين الموجودين في سجون إسرائيل.

وهذا حقّ لحزب الله، على صعيد القانون الدولي، ما لم يجد حزب الله طريقاً آخر لاستنقاذ أُولئك الرهائن من سجون إسرائيل.

وأعلن حزب الله هذه الحقيقة من أوّل يوم دفعاً لأي ذريعة تتشبث بها إسرائيل للإقدام على إشعال نار الحرب في المنطقة.

القيمة الإسلامية والعسكرية لعملية حزب الله

كانت العملية شجاعة حقّاً، يعرف قيمتها كل من تعنيه هذه القضية إيجاباً أو سلباً، وكانت تحمل قيمتين كبيرتين من الناحية الإسلامية والعسكرية. لابد أن نتوقف عندهما.

ـ أما **الأُولى**: فهي الاستجابة لنداءات استغاثة(حركة حماس) للمسلمين في صدّ العدوان الإسرائيلي عنها، الذي أخذ شكلا همجياً وعدوانياً، إقتحمت فيه إسرائيل المدن ودخلت بيوت الناس عنوة، واختطفت أعضاء المجلس النيابي والوزراء وأمطرت المدن الفلسطينية بوابل النار (من أجل أسير إسرائيلي واحد) طالبت به حماس إطلاق سراح الرهائن الفلسطينيين من الأطفال والنساء فقط من عشرة آلاف رهينة فلسطينية في سجون إسرائيل.

قامت إسرائيل بهذه الهجمات الهمجية، على كل المقاييس الدولية، وحتى على مقاييس الغابات أيضاً، من أجل أسير واحد إسرائيلي فقط... في جوّ دولي خانق من الصمت العربي والإسلامي والإنساني (لولا بعض الحالات الإسلامية القليلة) جداً.

فكان الاختراق الصاعق الذي قام به حزب الله لحدود فلسطين المحتلة... يمثّل استجابة الضمير الإسلامي لنداء إستغاثة (حركة حماس) الإسلامية. ولأهمية هذه النقطة في (شبكة الولاء)، في

الأُمة الإسلامية الكبيرة، سوف نخص هذه النقطة بدرس خاص في هذه الدروس إن شاء الله.

ـ **القيمـة الثانيـة**: كسر حاجز الخوف والتهيّب من الكيان الصهيوني فقد اكتسبت إسرائيل هيبة عسكرية (وهميّة)، تفوق واقعها العسكري أضعافاً مضاعفة، وكانت هذه الهيبة من صنع الإعلام العسكري والسياسي لإسرائيل وللغرب من جانب، ونابعة من الروح الإنهزامية الضعيفة للأنظمة العربية المتهيبة من إسرائيل من جانب آخر.

وكانت إسرائيل توظّف هذه الهيبة العسكرية (الوهميّة)، في فرض ما تريد من شروط على الأنظمة العربية، وجرّها إلى حالة التطبيع، وإقامة العلاقات معها، والاعتراف بشرعية وجودها في الشرق الأوسط.

وكان ضعاف النفوس، والمهزومون نفسياً من المسلمين، في هذا الاتجاه.

فكانت عملية حزب الله الشجاعة إقداماً جريئاً، كَسَرَ هيبة الجيش الإسرائيلي، وأثبت بالدليل القاطع إمكانية اختراقه، وَكَشَفَ عورات هذا الجيش... قام بها شباب من حزب الله يعمر قلوبهم الإيمان بالله تعالى، والثقة بوعده ونصره، بسلاح وعدة محدودتين، وإيمان وثقة بالله لا حدّ لهما، وهذه قيمة ثانية تستحق الكثير من الثناء والإكبار.

ولكن إسرائيل إعتبرت هذا التحدي جرحاً لكبريائها وهيبتها العسكرية في المنطقة والعالم، وأخرجت القضية إلى الدائرة الدولية الواسعة، واعتبرتها عدواناً من حزب الله، واعتبرت لبنان مسؤولا عن هذه العملية، فبدأت بعدوان شامل على لبنان ـ كله ـ وأعلنت الحرب على حزب الله وعلى لبنان، وحوّلت هذه العملية إلى قتال واسع وشرس ضد (حزب الله)، أدخلت فيه إسرائيل قواتها البرية والبحرية والجوية، لتحقيق النقاط التالية:

١ ـ توجيه ضربة عسكرية قاصمة إلى حزب الله، لا تقوم بعدها لحزب الله قائمة في لبنان كله، وتكون درساً بعد ذلك للحركة الإسلامية، في كل أنحاء العالم الإسلامي كما تريد إسرائيل!!

٢ ـ إحتلال لبنان عسكرياً، كما حدث أن احتلت لبنان مرة سابقة، لتملي على لبنان شروطاً قاسية للإنسحاب العسكري، منها تجريد حزب الله من سلاحه واعتباره حالة إرهابية ومليشيا محظورة دولياً ولبنانياً.

٣ ـ إعلان ربط المقاومة الإسلامية (حزب الله) بـ (إيران) و(سوريا)، واعتبارهما مسؤولتين عن نشاط حزب الله وأعمالها العسكرية، واستحصال مبرر إعلامي من خلال ذلك لضرب إيران وسوريا، وإجبار إيران على التخلي عن مشروعها النووي، وإجبار سوريا على الدخول في (بيت الطاعة) السياسية لـ (أمريكا)، كما طاوع

مـن قبـل نظـام آخـر، كـان فـي صـف الـرفض للنفـوذ الأمريكـي فـي المنطقــة ففــدت قتلــى الأمريكــان فــي حــادث الطــائرة الأمريكيــة بالمليـارات مـن بيـت مـال المـسلمين الـذي خـصّه الله تعـالى لجيـاع المسلمين في الهنـد وباكـستان وأفغانـستان وبـنغلادش وأفريقيـا، وهـم أكثر من مائة مليون مسلم، لهم الحقّ في كلّ دولار مـن المليـارات التـي فدى بها هذا النظام قتلى أمريكا في حادث سقوط الطائرة الأمريكية.

٤ ـ إعـادة رسـم خارطـة الـشرق الأوسـط مـن جديـد يبتنـى علـى الأُسس التالية:

أ ـ قبول الاحتلال الإسرائيلي.

ب ـ تطبيع العلاقات العربية الإسرائيلية وتبـادل العلاقـات الـسياسية والعــسكرية والتجاريــة مــع إســرائيل، والإقــرار بــشرعية الاحــتلال الإسرائيلي في المنطقة.

ج ـ استقرار الاحتلال والنفوذ الأمريكي في المنطقة.

د ـ إنهاء حالة المقاومة لإسرائيل.

وقد كان لأمريكا دور كبير في توسعة دائرة هذه الحرب وإطـلاق العنان لإسرائيل لضرب البنية التحتية للبنان وتخريب بيوت الناس علـى رؤوس أصحابها، ورفض كل مشروع لوقف إطلاق النـار فـي مجلـس الأمن، ريثما تحقق إسرائيل إنتصاراً عـسكرياً علـى حـزب الله، لتنطلـق من موقع القوة على طاولة المذكرات.

ومهما ينسى اللبنانيون من شيء فلا ينسون أن بلادهم كانت تحت وابل الصواريخ والقنابل والمتفجرات الإسرائيلية، وتتهدم بيوتهم علـى رؤوسـهم، وانعقـد مجلـس الأمـن لإصـدار قـرار بوقـف إطـلاق النـار، فعارضت أمريكا وإنجلترا إصـدار مثـل هـذا القـرار، واسـتخدمتا حـقّ الرفض، وبلـغ مـن سـخط الحكومـة اللبنانيـة علـى أمريكـا أن رفـضت اسـتقبال(رايـس) وزيــرة خارجيــة أمريكــا فــي بيــروت، ولــئن تــنس الحكومة اللبنانية هذا الموقـف الأمريكـي ـ الإنجليـزي اللاإنـساني مـن الكارثة التي حلت بلبنان فهي سيئة الذاكرة حقّاً.

لقد كانت أمريكا تُصرُّ على أنّ تحقّق إسرائيل أي إنجاز عـسكري على الأرض، يعطيها تفوّقاً عسكرياً على حـزب الله، فـي المفاوضـات، وإن كان ثمن ذلك تخريب لبنان الكامل.

الخيبة الكبرى

ولكــن شــاء الله تعــالى، ولا راد لمــشيئته، أن تَخيــبَ إســرائيل، وتدخل في أكبر حرج عسكري وسياسـي وإعلامـي، واجهتـه منـذ ولادتها (غير الشرعية) إلى اليوم، ووافقت إسرائيل على قرار وقـف إطلاق النار، رغما عليها، لئلا تتسع دائرة الهزائم العسكرية المنكـرة التي تكبدتها، ولئلا تفتضح أكثر من ذلك فـي تـصريحات جنودهـا وضباطها العسكريين المرعوبين مـن هجمـات حـزب الله الخاطفـة، والقصص المرعبة التي يتحدثون بها إلى الصحفيين.

(٢)

المشروع الأمريكي في تجريد حزب الله من السّلاح وتعطيل المشروع النووي الإيراني

كان لأمريكا دور واضح في إشعال نار الحرب في المنطقة من قبل إسرائيل، ولم تكن إسرائيل هي المسؤولة فقط عن إعلان هذه الحرب على حزب الله في لبنان.

وعبثاً يحاسب الشعب الصهيوني قيادته على إعلان هذه الحرب وتُحمّلها لوحدها الخسائر البشرية، والمعنوية، والمادية الفادحة التي لحقت إسرائيل في هذه المعركة.

أقول عبثاً يحاسب الشعب الصهيوني قيادته لوحدها على قرار الحرب.

فلم يكن قرار الحرب، قراراً إسرائيلياً خالصاً، وإنما كان قراراً أمريكياً ـ إسرائيلياً مشتركاً، تَبَلوَرَ وأُخرِجَ بهذه الصيغة للإعلام.

كما أنّ أمريكا كانت هي المسؤولة، عن استمرار القتال ورفض رأي مجلس الأمن بوقف إطلاق النار في أبّان القتال.

فقد كانت أمريكا تتوقع إنتصاراً لإسرائيل في هذه المعركة، ولم تكن تتوقع أن تتصل حلقات الهزائم الإسرائيلية، هزيمة بعد

أُخرى، وبالشكل الذي عرفه الناس جميعاً.

فرفضت أمريكا وقف إطلاق النار، وتحملت هي وإنجلترا مسؤولية خراب البنية التحتية للبنان، بهذه الصورة الهمجية، بالسلاح الجوي الإسرائيلي، على أمل أن تحقّق إسرائيل مشروعها السياسي ـ العسكري (المشترك) في الأيّام القادمة من القتال والتخريب.

وأبرز نقطتين في هذا المشروع الاستكباري المزدوج الذي تحدثنا عنه في الفصل السابق هو:

١ ـ تجريد حزب الله من السلاح.

٢ ـ تعطيل المشروع النووي الإيراني.

فطالما سعت أمريكا إلى تجريد حزب الله من سلاحه. سعت إلى ذلك من خلال مجلس الأمن، ومن خلال ممارسة ضغوط سياسية واقتصادية قوية على لبنان وسورية وإيران، وأخيراً من خلال إعلان الحرب على حزب الله من جانب إسرائيل.

ولطالما صرحت أمريكا بقلقها الشديد وبموقفها السلبي القطعي من المشروع النووي الإيراني السلمي... ولطالما أعلنت أمريكا بشكل أو بآخر، أنها إن عجزت عن تعطيل المشروع النووي الإيراني من خلال مجلس الأمن وبالضغوط الدولية السياسية والاقتصادية، فسوف تلجأ إلى إستعمال الآلة العسكرية الإسرائيلية ـ أو الأمريكية لضرب المشروع النووي الإيراني، مهما كان الثمن،

رغم كل المعارضة التي تتلّقاها الرئاسة الأمريكية لهذا الأمر من قبل الرأي العام العالمي، والرأي العام الأمريكي، والدول والأنظمة الصديقة لأمريكا، ورغم عدم عقلانية هذا التهديد لدى التنفيذ، وأضرارها البالغة على أمريكا وإسرائيل نفسها قبل أي طرف آخر.

فما هي الأسباب الحقيقية للحساسية الأمريكية الكبيرة ـ بهذا الحد المزعج ـ من سلاح حزب الله، والمشروع النووي الإيراني... إنّ المسالة مثيرة للاستغراب حقّاً... وبحاجة إلى توقف ودراسة... إن هذه النقطة لابد أن تدخل في الإستراتيجية الأمريكية، ولابد أن تجد أمريكا فيها تهديداً كاملاً لمشروعها السياسي في الشرق الأوسط، حتى تستحق هذا الاهتمام الأمريكي الكبير الواسع، بهذه الدرجة من الحسّاسية العالية.

فلنتوقف عندهما قليلا، فهما يستحقان وقفة طويلة، ليس من قبل حزب الله، وإيران، فقط، وإنما من قبل المسلمين جميعاً، لتعلق المسألة المباشر بالمشروع الأمريكي في الشرق الأوسط، قلب العالم الإسلامي.

الأمر الأوّل: إنّ سلاح حزب الله قوة بالتأكيد، وأمريكا تفهم جيداً حضور هذه القوة في المنطقة بجوار إسرائيل، وهذه هي الحقيقة الأُولى.

وتفهم ثانياً أن هذه القوة غير خاضعة لإرادتها، وغير ملتزمة بالخطوط والعلامات الحمراء الدولية التي تقرّها أمريكا في سياستها الخارجية للمنطقة.

وهذه الحقيقة الثانية، التي لا تخفى على أمريكا وإسرائيل، وأمريكا لا تتحمل في المنطقة قوة لا تخضع لإرادتها، وتحاول بكل سبيل (معقول أو غير معقول) إلغاء هذه القوة.

و(حزب الله) لا يدخل في نطاق النفوذ الأمريكي، كما يدخل الكثير من الأنظمة العربية، ولا تحصل في قبضة الأمريكان، كما يحصل الآخرون.

والأمر الثاني: النشاطات النووية الإيرانية التي تشارف الوصول إلى الغاية، وتُمكّن إيران من استخدام الطاقة النووية في إنتاج الطاقة الكهربائية العالية... وهذه تقنية متقدّمة، وعلم، في بلد لا يخضع للإرادة الأمريكية، والأمريكان لا يريدون على وجه الأرض علماً وتقنية لا يخضعان لإرادتها...وهذه هي جوهر المشكلة، ولو كانت إيران داخلة في دائرة النفوذ الأمريكي بشكل أو آخر، ملتزمة بتجنب الخطوط الأمريكية الحمراء، كما في الهند، وفي باكستان، لم تكن تمانع أمريكا من هذا النشاط، حتى لو كان لإغراض عسكرية.

ولكـن أمريكـا تعلـم جيـداً أنّ إيـران لا تحـصل فـي القبـضة الأمريكية... فلا يجوز أن تكتسب هذه التقنية المتطورة.

أرادت أمريكا أن تحقّق على يد إسرائيل، فرصة لضرب حزب الله وإيران معاً، وتجريد حزب الله مـن سلاحه، وتخريـب وتعطيـل التجهيزات الإيرانيـة النوويـة، ولكـن مشيئة الله تعـالى كانـت علـى خلاف الإرادة الأمريكيـة، فانهزمـت إسـرائيل فـي هـذه المعركـة، وخسرت ما يقـرب مـن خمـسة مليـارات دولار، وعـدداً كبيـراً مـن جيشها، وأهم من ذلك هيبتها العسكرية التي كانـت تتغنـى بهـا منـذ سنة ١٩٦٧م، من حرب الأيـام الستّة، التـي انتـصرت فيهـا إسـرائيل على الأنظمة العربية، وانتكست الأنظمة العربية فيها مقابل إسرائيل.

إنّ أمريكا لا تتحمل قوة ولا تقنية فـي المنطقـة غيـر خاضـعتين لإرادتها... بل في كلّ العالم، منذ أن رسمت لنفسها أن تنفرد بالقوة في العالم، وطرحـت شعار: (النظـام العـالمي الجديـد) بعـد سـقوط الاتحاد السوفيتي...

ولا تسمح لقوة ولا تقنية بالظهور، إلاّ في حالتين إثنتين:

الحالة الأولـى: أن تكـون هـذه القـوة والتقنيـة تحـت إرادتهـا وقيمومتها.

و**الحالة الثانية**: أن تفـرض هـذه القـوة والتقنيـة نفسها، فـي أي نقطة من الأرض، على حدّ الأمر الواقع، الذي لا تستطيع أمريكا أن

تتجاوزه.

إنّ القوة والتقنية في (روسيا) و(الصين) غير خاضـعتين بالتأكيـد لـلإرادة الأمريكيـة، ولكنهمـا يعتبـران أمـراً واقعـاً، رغـم الإرادة الأمريكية، ولا تستطيع أمريكا أن توقفهما و تلغيهما.

وفي غير هاتين الحالتين لا تسمح أمريكا لأية قوّة، ولأيـة تقنيـة بالظهور.

ونحن أمام خيارات ثلاثة تجاه هذه الحقيقة، لا رابع لها.

فإما أن نقبل بالـسيادة الأمريكيـة والنفـوذ الأمريكـي فـي العـالم الإسلامي فتسمح لنا أمريكا عندئذ بامتلاك هذه القوة والتقنية.

وإما أن نقبل البقاء في حالة الضعف وفقدان الكفاءات العلميـة، والعجز والتخلّف العلمي.

وإما أن نـرفض هـذا وذاك، ونـسعى رغـم الإرادة الاسـتكبارية إلى امتلاك القوة والتقنية المتطوّرة، ونقاوم ونثابر، حتى نجعـل مـن هذه وتلك أمراً واقعاً، لا سـبيل لأمريكـا إلـى احباطهمـا ورفـضهما، وهذا هو الخيار الثالث من بين الخيارات الثلاثة.

وإذا رفضنا الخيار الأوّل والثاني لم يبـق أمامنـا إلا هـذا الخيـار الثالث، وتحقيقه صعب، والطريق إليـه عـسير، ولكنـه الخيـار الـذي يحفـظ لنـا كرامتنـا واسـتقلالنا واسـتقلال أوطاننـا وكرامـة أبنائنـا واستقلالهم.

(٣)

من أين نطلب النّصر ؟

ولابد أن نتساءل في هذه الجولة الثقافية ـ السياسية: من أين نطلب النصر؟

وعلى الإجابة على هذا السؤال يتوقف كثير من قضايانا ومواقفنا السياسية.

لقد كان أمل الأنظمة العربية وثقتها في (١٩٦٧م) في الاتحاد السوفيتي، أن يمدهم بالجسر الجوي الذي ينقل إليهم السلاح والعتاد من موسكو إلى القاهرة، فخيّب الله أمل الأنظمة العربية في السوفييت، لعلهم إلى الله يعودون.

ولست أقول: إننا لا نطلب السلاح من السوفييت أو غيرهم في المعركة. فلابد في المعركة من السلاح، والسلاح إما أن نصنعها نحن، أو نطلبها من هنا وهناك.

وإلى هنا المسألة طبيعية وتجري طبقا لسُنن الله تعالى.

ولكنّ الذي كان يجري في الساحة العربية يومئذ داخل الأنظمة العربية الموالية للسوفييت، إنهم كانوا ينشدون النصر من السوفييت، وليس من الله.

وقد عشت أنا تلك الفترة الصعبة العسيرة، أقرأ وأسمع أدبيات معركة حزيران (١٩٦٧م) في الأيام الستّة وبعدها.

وشتان بين وجهة (حزب الله) اليوم في قتاله لإسرائيل ووجهة الأنظمة العربية في قتال إسرائيل قبل أربعين سنة تقريباً... أما الأنظمة الإسلامية غير العربية، فلم تدخل المعركة في حينها من قريب أو بعيد... ولم تزد على شعارات جوفاء فارغة.

وقد أوكل الله الأنظمة في حينها إلى أنفسها وإلى السوفييت في قتالها لإسرائيل، فانتهت فيه إلى السلام مع إسرائيل، وتطبيع العلاقات، وإقامة العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية معها.

وكان الله تعالى هو وحده وجهة (حزب الله) في هذه المعركة وثقتهم وأملهم، فتولّى الله أمرهم، وألقى الرعب في قلوب أعداءهم، وأنزل عليهم النصر.

والفرق بين الوجهتين واضح، ونَكِلُ الذين يناقشون في البديهيات إلى تصوراتهم فعلا، لئلا نتوقفَ كثيراً عند هذه المقدمة، وندخل الموضوع مباشرة... ضمن مجموعة نقاط:

١. النّصر من عند الله

هذه حقيقة قرآنية بارزة، لكل من يقرأ القرآن:

إنّ النصر من عند الله، والله تعالى هو مصدر النصر، وهو من

أوليات ثقافة القرآن. ولو أنّ الناس إجتمعوا جميعاً ليهزموا جيشاً أو فرداً، لا يريد الله هزيمته، لم يقدروا على ذلك، ولو أنّ الناس اجتمعوا كلهم، لينصروا من يريد الله تعالى هزيمته لم يقدروا على ذلك.

والقرآن واضح وصريح في ذلك، وإليك طائفة من آيات كتاب الله، على سبيل الاستشهاد، وليس على سبيل الحصر.

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[1]

﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[2]

﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ﴾[3].

وإذا آمن الإنسان بهذه الحقيقة، فسوف لا يلجأ إلى أحد غير الله تعالى في ابتغاء النصر، ويضع كل ثقته ورجاءه ودعاءه في الله تعالى.

٢ـ والله ينصر الفئة القليلة الضعيفة على الفئة الكثيرة

وكان نصر الله واضحاً للعيان في بدر، فقد نصر الله الفئة الضعيفة القليلة في بدر على عتاة قريش وطغاتهم، ولولا أنّ الله منّ على

(١) آل عمران: ١٢٦.

(٢) الأنفال: ١٠.

(٣) التوبة: ٤٠.

المسلمين ببدر بالنصر على قريش، لم تقم للإسلام قائمة منذ بدر إلى اليوم... لقد كانت بدر معركة فاصلة، وفرقاناً في التاريخ، وكان نصر الله للفئة القليلة واضحة في هذه المعركة لكل من ينظر فيتعقل ويدرك.

﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[1]

ولم يقتصر نصر الله تعالى للمؤمنين في بدر، فقد نصرهم الله في مواطن كثيرة.

﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾[2]

وقد نصر الله من قبل نوحاً عليه السلام وأنقذه من الكرب العظيم.

﴿وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3].

ونصر الله تعالى موسى عليه السلام على فرعون وجنده.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾[4].

(١) آل عمران: ١٢٣.

(٢) التوبة: ٢٥.

(٣) الأنبياء: ٧٧.

(٤) الصافات: ١١٤ ـ ١١٦.

ويُردّد المؤمنون هذه الآيات من كتاب الله، فتطمئن قلوبهم بنصر الله، ويجأرون إلى الله تعالى في طلب النصر في ساحات القتال، ويعطون ثقتهم ورجاءهم ودعاءهم لله دون غيره.

٣. والله غالب على أمره

وهذه حقيقة أُخرى في القرآن: إنّ الله غالب على أمره، فلا يُعْجِزُنّ الله تعالى أحد من خلقه وعباده، فإذا أراد النصر لقوم نصرهم لا محالة، وإن اجتمع الناس لإبطال هذا النصر، وإن أراد الله تعالى بقوم هزيمة، هزمهم لا محالة، وإن اجتمع الناس على نصرهم.

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكِّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[1].

﴿وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾[2].

وإذا كان الله وليّنا في هذه المعركة، وإليه أسندنا ظهرنا، ولجأنا، ورفعنا أيدينا، فلا يكلنا الله إلى أنفسنا، ولا يغلبنا أحد، إذا كان الله معنا.

---

(١) آل عمران: ١٦٠.

(٢) آل عمران: ١١١.

٤. وعد الله المؤمنين بالنصر

وقد وعد الله المؤمنين بالنصر في قتالهم للمشركين وأئمة الكفر، وعداً قطعياً حتمياً، والله لا يخلف وعده. والتشكيك في صدق وعد الله، على حدّ الكفر بالله تعالى.

يقول تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1].

والنصر هنا للرسل وللذين آمنوا، وفي الحياة الدنيا، والوعد من الله تعالى الذي لا يخلف وعده، فيقرأ الإنسان هذه الآية من كتاب الله فيطمئن قلبه بوعد الله، ويستهين بما يلقاه من العذاب والعنت في سبيل تحقيق وعد الله.

﴿وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾[2].

وهذا هو الوعد الحقّ الذي وعد الله تعالى به عباده المؤمنين حقاً، وبعد هذا الوعد الإلهي الحقّ لا يدخل اليأس عن النصر قلب عبد مؤمن يثق بالله تعالى ووعده.

ويَعدُ الله تعالى نبيّه ﷺ بالنصر العزيز.

﴿وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْراً عَزِيزاً﴾[3].

---

(١) غافر: ٥١.

(٢) الروم: ٤٧.

(٣) الفتح: ٣.

٥. شروط النصر

وليس معنى ما تقدم من الكلام إنّ الله تعالى يهب النصر لعباده من دون حساب ولا نظام، بلى، إن الله يهب النصر لمن يشاء، ويمنع النصر عمن يشاء، ولكن ضمن حساب ونظام وقانون... وهذا الكون يقوم على أساس النظام والقانون. والله تعالى هو خالق هذا النظام والقانون.

ولكلّ شيء في هذا الكون شروط وأسباب. وهذه الشروط والأسباب لا تنافي أن النصر من عند الله، يهبه لمن يشاء ويمنعه عمّن يشاء.

وهذا واضح لمن يفهم لغة القرآن في هذه المسائل.

فإن الرزق من عند الله، من دون شك، والله هو الرزاق المتين، وليس لغيره من عباده وخلقه شأن في الرزق.

﴿**وَتَرْزُقُ مَن تَشَاء بِغَيْرِ حِسَاب**﴾[1].

﴿**نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾[2].

﴿**وَاللّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَاب**﴾[3].

---

(١) آل عمران: ٢٧.

(٢) الأنعام: ١٥١.

(٣) البقرة: ٢١٢.

﴿**إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَاب**﴾[1].

﴿**اللّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقَدِرُ**﴾[2].

﴿**إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ**﴾[3].

ولكن الله تعالى جعل للرزق أسباباً ومفاتيح، أمر عباده أن يطلبوا رزقه من خلال هذه الأسباب والأبواب.

﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ**﴾[4].

وكذلك الأمر في النصر، فإن النصر من عند الله، لا ريب في ذلك، ولكنّ الله تعالى جعل للنصر مفاتيح وأبواباً وأسباباً وأُمرنا أن نطلب النصر من خلالها.

وليس معنى الإيمان والثقة بنصر الله إهمال الأسباب والشروط والإعداد الميداني لعوامل النصر.

وأنّ من الشطط في الفهم أن نفهم ما تقدم من الآيات أنّ الله يرزق النصر لمن يشاء من عباده، إعتباطاً ومن دون نظام وقانون.

ومن أسباب النصر إعداد القوة للمعركة، والتخطيط لها، والإعداد لها إعداداً كاملا.

---

(١) آل عمران: ٣٧.

(٢) الرعد: ٢٦.

(٣) الذاريات: ٥٨.

(٤) الملك: ١٥.

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ﴾[1].

إن إعداد القوة على وجه الأرض، وفي الميدان من ضرورات القتال، ولابد من هذا الإعداد والتحضير، ولكن لا يجوز الاعتماد عليه، فإنّ الاعتماد على الله فقط. وقد نصر الله الفئة الضعيفة على الفئة القوية، فلا يصح الاعتماد على قوة السلاح والتحضير الميداني للمعركة، ولكن لابد منه، وهو من شروط نزول النصر من عند الله، ومن مفاتيح نصر الله والجمع بين هذا وذاك من رقائق ثقافة القرآن، نسأل الله أنّ ينعم علينا بها.

ومن شروط النصر أن ينتصر المؤمنون لله تعالى، وينصرون الله، فإذا وجد الله منهم الصدق والجدّ في نصر دينه نصرهم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[2]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[3].

ومن أهم أسباب النصر: الصبر والصلاة.

﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾[4]،﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَعِينُواْ

(١) الأنفال: ٦٠.

(٢) سورة محمّد: ٧.

(٣) الحج: ٤٠.

(٤) البقرة: ٤٥.

بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ﴾[1].

والصبر معنى واسع وشامل يشمل الصبر على الأذى والاضطهاد، ومقاومة الوسائل التي يتّخذها الظالمون في اضطهاد المؤمنين وعذابهم وملاحقتهم.

﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾[2].

وكان من دعاء المؤمنين في ساحات القتال والمواجهة طلب النصر من عند الله، وتثبيت أقدامهم على أرض المعركة، ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[3].

ولابد في المعركة والمواجهة من الصبر، ومن يصبر ينصره الله تعالى.

ومن معاني الصبر: الصبر على الإعداد والتحضير الميداني، والنفسي، والسياسي، والتخطيط الإعلامي، والمالي، والعلمي، والتسليحي للمعركة. فإنّ المعركة بحاجة إليها جميعاً، والإعداد للمعركة يحتاج إلى جهد كبير وصبر كثير، فإذا وجد الله تعالى من

(١) البقرة: ١٥٣.

(٢) الأنعام/ ٣٤.

(٣) البقرة: ٢٥٠.

عباده الصدق في الصبر، فتح الله عليهم أبواب النصر ورزقهم السلاح والمال والقوة والإعلام والدعم والخطة والنظام، كما تحتاجه المعركة.

والعنصر الآخر من متطلبات المعركة (الصلاة)، (واستعينوا بالصبر والصلاة).

إنّ الذكر والإقبال على الله، واللجوء إليه تعالى، والاستغاثة به، وطلب النصر منه، من أعظم متطلبات المعركة، وأبواب النصر.

ولقد رفع رسول الله ﷺ يديه إلى الله في بدر، وأقبل على الله في دعاء وإلحاح في الدعاء، فقال: «اللهمّ إن شئت ألاّ تُعْبَد لا تُعْبد». فقد كانت هذه الفئة القليلة في بدر التي واجهت عتاة قريش هي وحدها التي تعبُد الله تعالى من دون سائر الناس، فإذا هُزِمت في هذه المعركة، ومحقت، وهلكت، فسوف لن يكون هناك من يعبدُ الله على وجه الأرض، واستغرق رسول الله ﷺ في الدعاء حتى وقع ردائه عن متنه.

وأن للإقبال على الله في المعركة وطلب النصر من عند الله، واللجوء الصادق إلى الصادق دوراً كبيراً في تحقق النصر.

يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ

تُفْلَحُونَ﴾[١].

وقد كان أنبياء الله: والمؤمنون يطلبون النصر من عند الله ويستنصرون الله، ﴿رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٢].

ومن دعاء طالوت ومن معه من المؤمنين لما برزوا لجالوت: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُواْ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[٣].

٦. التمحيص في طريق النّصر

ولا تكتمل هذه الجولة القرآنية في النصر وأسبابه وشروطه وعوائقه ومصدره، ما لم نتحدث عن (التمحيص)...

فقد يمرّ النصر بطريق عسير، يثخن المؤمنين بالجروح، ويُحملّهُم العناء والعذاب، وتتساقط فيه الرؤوس والأيدي والأقدام، ولكن العاقبة تكون للمؤمنين، كما وعدهم الله، ولن يخلف الله وعده.

فقد دخل المؤمنون معركة (أُحد) بعد (بدر)، ومسّهم في

(١) الأنفال: ٤٥.

(٢) البقرة: ٢٨٦.

(٣) البقرة: ٢٥٠.

(أُحد) قرح شديد، ولكنهم لم يشعروا يومئذ بالضعف والعجز والتراجع أمام قريش، ولم ينل ذلك من عزمهم وإرادتهم، ومقاومتهم، وصلابتهم، وعزتهم، واستعلائهم على الكافرين، ولم يصبهم بالوهن والضعف.

ولنقرأ هذه الآيات العجيبة التي نزلت على المسلمين يومئذ، بعد معركة (أُحد)، والتحليل العجيب الذي تقدمه هذه الآيات لنكسة (أُحد) المرّة، والآيات من آل عمران:

﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ، وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

إنّها آيات عجيبة نزلت بعد معركة (أُحد)، تقدّم تفسيراً جديداً للصراع، والانتكاسة، والانتصار في الصراع، في صفوف المؤمنين، لم يعهده الناس من قبل.

وتبدأ الآيات بدعوة المؤمنين إلى الاستعلاء على أعدائهم، ونبذ

(١) آل عمران: ١٣٩ ـ ١٤٢.

الوهن والضعف، والتحَسّس بالقوة والعزّة، إن كانوا مؤمنين.

وإنّ الانتكاسة في ساحة القتال لا تنال من قوة المؤمنين، ولا تنال من عزتهم وإرادتهم وصلابتهم وإيمانهم وثقتهم بالله.

﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

لا تضعفوا، ولا تحزنوا على ما فاتكم من النصر وما لحقكم من الانتكاسة في (أحد)، فإنّ هذه الانتكاسة لا تغير نتيجة المعركة، إنّ هذه الانتكاسة حلقة من حلقات المسير إلى النصر، وتمحيص للمؤمنين قبل النصر، وأمّا العاقبة والنصر والفتح فهو لكم، أنتم المؤمنون لا غير، وليس ينبغي أن تفُتّ هذه الحلقة من حلقات المسير في عضدكم، وتسلب منكم عزمكم وإرادتكم وصلابتكم، وتسلب منكم الإحساس بالعزة والاستعلاء.

ثم تخفف عنهم وقع النكسة التي أصابتهم، والقروح التي مستهم في المعركة... فهذه القروح قد أصابت أعداءهم من قبل، في (بدر) وفي (أُحد) أيضاً، وهي من متطلّبات المعركة، التي لابد منها في كل معركة، ولا تخلوا عنها حرب، ولا تخصّ هذه القروح المؤمنين دون الكافرين.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾.

هذه طبيعة كل معركة، والإنسان إما أن يتجنب الصراع والقتال، ويتحمل الذل والهوان، أو يدخل في دائرة الصراع وقتال أئمة

الشرك والظالمين، وإذا اختار الثاني فلابدّ أن يتحمل هذه القروح كما يتحملها أعداؤهم.

ثم تبين الآية حقيقة هامة في فهم التاريخ، وهي أن التاريخ يتحرّك باتجاه سلطان الحقّ وزهوق الباطل.

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1].

﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[2].

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾[3]

ولكنّ الطريق إلى هذه الغاية صعب وعسير، يمر بأيام من المحنة والعذاب والعناء، لابد من اجتيازها وتجاوزها.

﴿وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[4].

وهذه المداولة في الأيام بين الحقّ والباطل، وبين الانتكاسة والانتصار، لابد منها لتحقيق هذه العاقبة التي يذكرها القرآن للمتقين، ولو كانت أيام المسلمين الأوائل كلها نشوات (بدر)، ولم يمرّوا بنكسات (أُحُد) لم يأتهم النصر والفتح العظيم الذي يخبرنا

---

(١) هود: ٤٩.

(٢) الأنبياء: ١٠٥.

(٣) القصص: ٥.

(٤) آل عمران: ١٤٠.

عنه الله تعالى: ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.

إنّ هذا التداول للأيام بين الانتكاسة والانتصار، والصعود والنزول، ونشوات الانتصار ومرارات الإنتكاسة، لابدّ منه في تحقيق إرادة الله تعالى في وراثة الصالحين وإمامتهم على وجه الأرض.

إنّ هذا التداول في الأيّام لابد منها ليتم فرز الصالحين عن غيرهم وفرز الأقوياء عن ضعفاء الإيمان، والمؤمنين عن غيرهم، فلا يتم هذا الفرز في أيام العافية والرخاء، وإنّما يتم في أيام العسر والشدة.

﴿وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾.

والله تعالى يعلم بالناس وقوتهم وضعفهم، وأبرارهم وشرارهم، والمؤمنين منهم والمنافقين، ولكن الله يريد بهذه الأيام أن يفرزهم ويستخلص الصالحين منهم من الفاسدين، والمؤمنين من المنافقين، ولا يتم ذلك إلاّ بمثل هذا التداول والصعود النزول في الأيام...

﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء﴾، وفي مثل هذا التداول للأيّام بين (بدر) و(أُحُد) يتم اتخاذ الشهداء الذين يختارهم الله تعالى، أئمة وقادة للبشرية وشهداء عليهم، في هذه الأيام يتكوّن الذين اتخذهم الله شهداء على الناس، فلا يتكوّن الشهداء في أيام العافية والرخاء.

إنّ أيام العافية والرخاء لا تنتج الشهداء القيمين على مسيرة

البشرية... وهذا هو التمحيص الأُفقي على سطح المجتمع، وفي هذا التمحيص يتم فرز الصالحين عن غيرهم، والمؤمنين عن المنافقين، وضعاف الإيمان عن أقويائهم.

وفي مقابل التمحيص الأُفقي تمحيص آخر، عمودي، داخل نفوس المؤمنين، ففي نفوس المؤمنين خير وشر، وعقل وهوى، وضعف وقوة، ويقين وشكّ، وزهد وحبّ للدنيا، ولا يتخذهم الله شهداء، حتى يمحّص ما في نفوسهم، فيأخذ من نفوسهم الشكّ والضعف، والهوى والشرّ وحبّ الدنيا، لتخلص نفوسهم من الضعف والهوى، وعندئذ يتّخذهم الله شهداء وأئمة على وجه الأرض، وهذا هو التمحيص العمودي داخل النفوس.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾.

وهذا التمحيص الثاني هو التمحيص العمودي الذي أشرنا إليه.

ثم ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾.

ومن عجب أنّ المحنة هي المحنة، والضرّاء هي الضرّاء، ولكنها (تمحيص) للمؤمنين، و(محق) للكافرين.

إنّ النار هي النار، ولكنها تصفّي الذهب وتنقّيه، وتحرق الخشب، ولا اختلاف في النار، وإنما الاختلاف في ما تتعرض للنار، فتحرق الخشبة وتُصفّي الذهب.

﴿وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾.

هذا كلّه في الدنيا، وهو الشطر الأوّل من حياة الإنسان، والشطر الزائل المحدود منها.

وأما في الآخرة، وهي الشطر الثاني من حياة الإنسان، والشطر الباقي والكبير... فإنّ الإنسان لا ينال الجنة في أيام اليسر والعافية، وإنّما ينالها في أيّام الضرّاء والبأساء، وفيما تتطلبه هذه الأيام من جهاد وصبر على الأذى ومسّ القروح والجروح.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

إنّه تصوّر ساذج وبسيط للجنّة، وللأعمال الصالحة التي تدخل الإنسان الجنة، فلا يكاد ينالها الإنسان إلاّ بالصبر على الأذى ومسّ القروح ومقاومة الأعداء والإخلاص لله، والإقبال عليه تعالى... ولا يتم ذلك كله إلاّ في أيام البأساء والضرّاء.

❊ ❊ ❊

(١) آل عمران: ١٤٢.

(٤)

المقاومة الإسلامية

انتصار المقاومة الإسلامية في لبنان على إسرائيل مسألة تستوقف الإنسان كثيراً وتحتاج إلى توقف وتأمل.

إنّ حزب الله قوة محدودة من حيث السلاح، والقوة، والعتاد، والإعلام، والمال، وإسرائيل قوة كبيرة في المنطقة وفي العالم، سياسياً وعسكرياً وتسليحياً وإعلامياً ومالياً ودولياً.

وهذه (اللامعادلة) بين القوتين تؤدي إلى الحكم بحتميّة إنتصار إسرائيل على حزب الله في هذه المعركة، بلا توقف ولا تأمل، لو كان النصر العسكري يخضع للاعتبارات العسكرية فقط.

وانطلاقاً من هذه النقطة كانت أمريكا تؤجّل يوماً بعد يوم قرار وقف إطلاق النار في مجلس الأمن، لتحقق إسرائيل بعض النصر العسكري الذي تتوقعه أمريكا لها في كل يوم، بل في كل ساعة.

فكيف انتصر حزب الله في هذه المعركة الضارية على إسرائيل، ولم تستطع إسرائيل أن تحرز أي انتصار عسكري حقيقي خلال ٣٣ يوماً في معركة شرسة دخلتها إسرائيل رغم كل (اللامعادلة) العسكرية التي شرحتها آنفاً.

إننا يهمّنا أن نتوقف عند هذه النقطة، ونحلّلها فهي نقطة جديرة

بالتأمل في مواجهتنا وحروبنا المستقبلية لإسرائيل وأمريكا.

إنّ (المقاومة الإسلامية) تركيب من عناصر ثلاثة، هي:

١ ـ الإيمان.

٢ ـ الوعي.

٣ ـ القوة.

وهذه العناصر الثلاثة تفسّر هذا الانتصار الكبير الذي أحرزه حزب الله على إسرائيل. ولنتأمل هذه العناصر الثلاثة واحدة بعد أُخرى.

١. الإيمان

إنّ الإيمان بالله تعالى هو العنصر الأول في هذا النصر.

والإيمان بالله معنى شامل واسع يتضمن الثقة بالله، والتوكل على الله، والإخلاص لله، وابتغاء وجه الله في السلم والحرب، والرضا بأمر الله، والحب لله والسخط والغضب في الله، والصدق مع الله، وتقوى الله في السراء والضراء... ولا شكّ أنّ الإيمان بهذا المعنى الشامل من أهم عناصر النصر... وقد نزل على المسلمين في معركة (أُحد) بعد الانتكاسة التي أصابتهم في تلك المعركة هذه الآية الجليلة التي تَبْقى نبراساً لكل الأجيال: ﴿**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَـوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾... إنّها لم تنزل في نشوة انتصارات (بدر)، وإنما نزلت

في مرارة انتكاسة (أُحد). تدعوهم إلى أن لا يضعفوا (ولا تهنوا)، ولا يحزنوا لما أصابهم من الانتكاسة، فإنّهم (الأعلون) و(المنتصرون) و(الغالبون) إن شاء الله، ما كانوا مؤمنين.

في عام (١٩٦٧م) اصطفّت الأنظمة العربية صفّاً واحداً لمحاربة إسرائيل، ولكن عيونهم كانت مشدودة إلى الجسر الجوي الذي يصل بين (موسكو) و(القاهرة) ليرفدهم بما كان يعدهم السوفييت من السلاح والعتاد، ولكنّ الله تعالى خيّب ظنونهم في السوفييت وانتصرت إسرائيل، واحتلّت خلال ستّة أيّام (الجولان)، و(سيناء) و(القدس)، و(الجليل)، و(حيفا)، و(يافا)، و(الضفة)، و(غزة)... وعاد حكّام العرب بخفي حنين إلى قصورهم، ليمارسوا فصلا آخر من فصول الظلم والإفساد والاستبداد بحقّ شعوبهم، والعمالة لأمريكا، التي وقفت مع إسرائيل حتى النخاع، وأخيراً التفاوض وتطبيع العلاقات مع إسرائيل وتبادل السفراء ورسائل الحب والود.

ولو كانت عيون حكام العرب يومئذ، بعين الله، لا بالسوفييت، لنصرهم الله تعالى، ولكنهم نسوا الله تعالى فنساهم الله، وأنساهم أنفسهم.

٢.الوعي

والعنصر الثاني من العناصر المكونة للمقاومة الإسلامية الوعي

الجهادي والحركي والسياسي. وهذا الوعي من ثمرات الإيمان بالله، لا تنفك عنه.

وهذا الوعي نقتبسه من كتاب الله مباشرة: ﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**﴾[1].

إنّ الاستكبار الكافر المتمثل اليوم في إسرائيل مبعث فتنة واسعة، وحريق واسع من الفتن في العالم الإسلامي... وما دامت إسرائيل قائمة تدوم هذه الفتنة، فلابد من أن يعمل المسلمون لإجتثاث هذه الفتنة من الجذور، لئلاّ تكون هناك فتنة، وليكون الدين والحاكمية لله تعالى.

يقول تعالى: ﴿**وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ**﴾[2]

إنّ هذه المقاومة والقتال هو سبيل خلاص المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا الله.

إنّ إسرائيل اليوم محرقة وفتنة في المنطقة، وعقبة في طريق إستقرار المنطقة وسلامتها، وفي طريق توحيد الله وعبوديته، وأداة

---

(١) البقرة: ١٩٣.

(٢) النساء: ٧٥.

أمريكا لاستضعاف المسلمين، وهي تختزل الكثير من مصائب المسلمين في الوقت الحاضر. ولا سبيل للمسلمين للتخلّص من ذلك كلّه إلا بإزالة إسرائيل من الخارطة السياسية بالكامل.

وما لم يتوصّل المسلمون إلى هذه الحقيقة السياسيّة الكبيرة فإن المنطقة الإسلامية كلها تعاني من حالة عدم إستقرار دائم، وسوف تمارس إسرائيل دوراً منظماً مدروساً في تثبيت أقدام الاستكبار الأمريكي في المنطقة.

يقول أميرالمؤمنينعليه السلام لجنده يوم صفين حينما استولى جند الشام على الفرات ومنعوا عسكر الإمام من الماء، يقول لهم الإمام:

«قد استطعموكم القتال، فأقروا على مذلة، أو روّوا السيوف من الدماء تُرْووا الماء».

يقول لهم: ليس أمامكم إلاّ خيارين اثنين:

إما أن تُقرّوا بالمذلّة أو ترووا السيوف من الدماء فتُسقون الماء عندئذ.

ثم يقول لهم: «فالموت في حياتكم مقهورين، والحياة في موتكم قاهرين».

الذي يستقبل الموت يقهر عدوّه، لا محالة، والذي يهرب من الموت، وتطيب له الحياة يعيش حياة ذليلة البتّة.

إنّ حياة العز والقوة في استقبال الموت، وحياة الذلّ والهوان في الهروب من الموت.

فاختاروا لأنفسكم ما شئتم، أيّها الناس.

ويقولعليه السلام لهم: «إنّ أكرم الموت القتل».

إنّ الموت حقيقة حتمية لا مفر منه، ومهما يتقدّم الإنسان في حياته ساعة يقرب من الموت مثلها.

يقولعليه السلام: «إنّ الموت طالب حثيث، لا يفوته المقيم ولا يُعْجزه الهارب».

فإذا كان الأمر كذلك، وكان لابد من لقاء الموت على كل حال، ولا سبيل للإنسان إلى التخلّص من الموت، فلماذا يدفع الإنسان عن نفسه أكرم الموت، وهو القتل في سبيل الله، ويموت كما تموت الدواب.

ويقولعليه السلام: «رُدّوا الحجر من حيث جاء، فإن الشرّ لا يدفعه إلاّ الشرّ».

وهذه الكلمة هي جوهر الوعي السياسي والجهادي في مواجهتنا الدائمة لإسرائيل.

فإن إسرائيل لا تزال تكيد بالمسلمين، وتمكر بهم، وتتآمر عليهم، وتتفق مع كل قوى الشرّ والاستكبار في العالم في

إستضعاف المسلمين وفي النيل منهم.

فإذا تحفظ المسلمون أن يردوا هذا الشر بشرّ يكافؤه، فلا يزال هذا الشرّ يصلهم من ناحية إسرائيل والاستكبار العالمي.

ولا سبيل لهم إلى دفع هذا الشرّ إلاّ بشرّ مثله. وهذا الوعي هو الوعي السياسي والجهادي والحركي الذي خطته المقاومة الإسلامية لنفسها.

إنّ من الخطأ أن نلتمس من إسرائيل إطلاق سراح عشرة آلاف من سجنائنا رجالا ونساءً، وأطفالا ومرضى وأصحّاء.

فإن إسرائيل لا تفهم لغة الحوار والرحمة والتفاهم، واللغة الوحيدة التي تفهمها وتسمعها وتصغي لها، هي اللغة التي خاطبهم بها حزب الله في لبنان وحماس وشباب الانتفاظة في فلسطين، وهو لغة القوة والمقاومة.

وهذا هو الوعي السياسي والحركي الذي لابد منه في هذا المقطع الحساس من تاريخنا المعاصر.

وهذا الوعي الحركي، من مكونات (المقاومة).

ولو أنّ المقاومة كانت تنطلق من منطلقات حبّ العافية، وإيثار السلامة، وحب الدنيا، والثقة بوعود الاستكبار العالمي، والمساومة، والمداهنة، لاختلف الأمر، ولم تكن المقاومة مقاومة، ولكان

الاستكبار العالمي يعمل على تدجين المقاومة، كما دجّن قبل ذلك الأنظمة.

إنّ العطاء والحركة و(الموقف) من نتائج (الوعي) والوعي من نتائج (الإيمان).

وهاتان معادلتان، لا سبيل للتشكيك فيهما.

٣ـ القوة والتنظيم

والعنصر الثالث القوة والتنظيم، ولا إرتياب في أنهما من عوامل النصر، والنصر يحصل على أرض المعركة، والقوّة والتنظيم والتخطيط من عوامل النجاح والتقدم على أرض المعركة.

وقد أمرنا الله تعالى بإعداد القوة والسلاح للمعركة ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ**﴾.

وفائدة هذه القوة (الإرهاب)، ولكن إرهاب أعداء الله وأعداء الناس ﴿**تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾. لا إرهاب الأبرياء والمستضعفين من خلق الله.

ولابد من هذا العنصر في تكوين (المقاومة) على كل حال، وهذا لا اختلاف فيه... وإنما نختلف في تقييم (المقاومة) وتحليل عوامل إنتصار المقاومة في المكونات الأُخرى للنصر، وهي (الإيمان) و(الوعي).

وهذا موضع الافتراق في التقييم والتحليل بيننا وبين المدرسة المادية الاستكبارية الغربية.

إنّهم يعتقدون أن القوة على وجه الأرض هي كل شيء في تقرير نتيجة المعركة.. فقد كانوا لا يَشُكّون لحظة واحدة، أنّ إسرائيل هي المنتصرة في هذه المعركة، فيعجبون كيف تخرج إسرائيل من هذه المعركة (اللامتكافئة) مهزومة مثخنة بالجراح لم تحقّق شيئاً حقيقياً من النصر.

ونحن نعتقد أنّ القوة لابد منها على وجه الأرض، وفي ميدان القتال، والتنظيم والتخطيط لابد منه في ساحة المعركة، ولكن القوة لا تختزل كلّ النصر، والمعادلة الحقيقية قائمة بين النصر وكلّ عوامل النصر.

وعوامل النصر ثلاثة وليست واحدة، ولابدّ منها جميعاً، وهذه الثلاثة بعضها يجبر بعضاً، وبهذه السُنة نصر الله تعالى المؤمنين في بدر على عتاة قريش، يقول تعالى: **﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾**[1].

وبهذه السُنة يقول تعالى: **﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ**

(١) آل عمران: ١٢٣.

اللّهِ﴾[1].

وبهذه السُنة يقول تعالى: **﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**[2]

هذه هي تركيبة المقاومة.

وهذه التركيبة تجعل من المقاومة حالة صعبة، لا يمكن التغلب عليها، إلاّ بزوال أحد أمرين:

أما بزوال العدوان، أو بزوال الوعي الحركي والسياسي لدى الناس.

وما دام العدوان باقياً في حياة الناس وعلى مشارف بلدهم، أو في داخل بلدهم، فإن المقاومة قائمة في حياة الناس، لا محالة، ما لم يغب الوعي السياسي والجهادي عن حياة الناس.

فإذا كان العدوان قائماً، وكان الوعي قائماً في حياة الناس، فلا محالة تبقى المقاومة.

إنّ المقاومة تختلف عن الجيوش النظامية.

إنّ الجيوش النظامية تنتكس، وتنهزم، وتنكسر في جبهات القتال، ولا هزيمة ولا إنتكاسة في المقاومة، إذا سقط عشرة حلّ

(١) البقرة: ٢٤٩.

(٢) المجادلة: ٢١.

محلّهم عشرون، وإذا سقط عشرون حلَّ محلهم أربعون، وهكذا تتنامى وتتوسّع المقاومة.

ولا تفقد المقاومة السلاح، حيثما تكون، فإنّ المقاومة تجد السلاح الذي تحارب به العدوان، وإذا صدقت المقاومة في ساحة القتال، أمطرت السماء عليهم سلاحاً، ولن تمطر السماء سلاحاً، ولكنّ الله تعالى لن يمنع السلاح عن قوم يريدون أنْ يقاتلوا أعداءهم، ويزيلوا العدوان عن أرضهم وكرامتهم، إذا صحّت نيتهم في ذلك.

وسلام الله على الإمام الصادقؑ كان يقول:

«لن يعجز جسد عمّا قويت عليه النيّة»، وبنفس الملاك نقول: لن تفقد أُمة تُريد أن تقاتل عدوها، وتزيل العدوان عن أرضها وكرامتها، السلاح الذي تقاتل به.

إنّ أمريكا واهمة، حيث تتصور إنّ بالإمكان تجريد (حزب الله) من سلاحه، وبالتالي إسقاط حزب الله وتحويله إلى حركة سياسية إعلامية على صفحات الجرائد.

فلن تنتهي المقاومة الإسلامية في لبنان وفي فلسطين، ما دامت إسرائيل قائمة بالعدوان والبطش والإرهاب، وما دام القرآن يمدّ المسلمين بالوعي والبصيرة:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾[1]

لقد كانت أيدينا على قلوبنا في الأسابيع الخمسة من المواجهة بين حزب الله وإسرائيل في جنوب لبنان، وكنا نخشى أن تنفذ صواريخ حزب الله فيبين الضعف العسكري في جهة حزب الله... فإن حزب الله مقاومة محدودة، وليس دولة كبيرة، ومخزونها من السلاح والعتاد والمال محدود، لا محالة، ولكن حزب الله كان يمطر فلسطين المحتلة بالصواريخ في كل يوم، ٢٠٠ صاروخاً و ١٥٠ صاروخاً من غير أن يحسب حساباً لمخزونه من الصواريخ، واستمر هذا الوابل من الصواريخ على سماء فلسطين المحتلة إلى آخر يوم من أيام المعركة، توقف القتال بعده بقرار من مجلس الأمن، ولم ينفذ بعد مخزونه من الصواريخ، ولو كان القتال يمتد بين حزب الله وإسرائيل شهوراً أُخر، لعرفنا كيف يمدّ الله حزب الله بالسلاح والعتاد، والمؤن، والمال، وأنّ إسرائيل لا تستطيع بمحاصرة لبنان جوّاً وبرّاً وبحراً، وبتخريب الجسور والجادات والاتصالات أن تمنع رحمة الله والمدد الإلهي من حزب الله. **﴿يَقُولُونَ لاَ تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**

---

(١) الحج: ٣٩.

وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَفْقَهُونَ﴾[1].

إنّ تجريد حزب الله في لبنان، وتجريد حماس في فلسطين من السلاح، من الوهم الذي تورّط فيه الأمريكان لأنهم يقيسون المقاومة بمقاييس الجيوش النظامية في بلادهم.

وقد أثبتت الأسابيع الخمسة من قتال المقاومة لإسرائيل خطأ أمريكا في مقاييسها ومعاييرها.

ولست أذكر الآن من هو بالتحديد القائد العسكري الإسرائيلي الذي قال عّن حزب الله إنّ أكبر جيوش العالم يعجز عن هزيمة حزب الله... إلاّ أنّني أعلم أن هذا القائد العسكري الإسرائيلي عرف في ساحة القتال الضاري لحزب الله، ما لم يعرفه (بوش) في تنظيراته وخطاباته، والدراسات التي يقدمها له مستشاروه.

❊ ❊ ❊

---

(١) المنافقون: ٧.

(٥)

بين المقاومة والتفاوض

يتأرجح الموقف العربي من إسرائيل بين المقاومة والتفاوض وكان الموقف أوّل الأمر هو المقاومة، ورفض أي خيار آخر غير خيار المقاومة، غير أن موقف الأنظمة العربية بشكل عام أخذ ينزلق من اللاءات العربية المعروفة باتجاه التطبيع في العلاقة مع إسرائيل، وأخذت المفاوضة تحتل محل المقاومة، حتى انتهت المقاومة بالكامل، في مساحة واسعة من العالم الإسلامي عموماً والعالم العربي خصوصاً.

ونحن نقول لهذه الأنظمة المقتنعة بجدوى التفاوض مع إسرائيل: إنّ إسرائيل لا تمتلك الحدَّ الأدنى من القيم التي لابدّ منها في أي تفاوض بين طرفين مختلفين... ولا معنى للتفاوض مع الطرف الذي يطالب بكل شيء ولا يعطي شيئاً للطرف الذي يفاوضه، وإذا التزم بشيء لا يفي به، ولا يعترف بأية قيمة أخلاقية في التعامل السياسي مع الأطراف الأخرى.

إنّ المواجهات الأخيرة في فلسطين ولبنان كشفت بوضوح هذه الحقيقة، وعرف الناس جميعاً الطريقة اللاإنسانية لإسرائيل في التعامل مع كل من (حماس) و(حزب الله) في قضية الأسير

الإسرائيلي الذي أسرته حركة حماس أو الأسيرين اللذين أسرهما حزب الله، لتطلق إسرائيل في المقايضة العسكرية بينهما عن الأطفال والنساء الفلسطينيين الرهائن في سجون إسرائيل وتطلق سراح الرهائن اللبنانيين في إسرائيل.

وإنّما نقول (رهائن) لأنّ إسرائيل اختطفتهم من أرضهم وديارهم وبيوتهم فهم رهائن في سجون إسرائيل، ولا يُعدّون أسرى في الحسابات العسكرية.

إلاّ أنّ العشرة آلاف من الرهائن الفلسطينيين واللبنانيين المسجونين في سجون إسرائيل في حساب إسرائيل إرهابيون، لا يستحقون الرحمة والحرية بما فيهم الأطفال والنساء، والأسرى الإسرائيليون الثلاثة هم رهائن مختطفون يجب إطلاق سراحهم فوراً.

وفي غير هذه الحالة فإنّ إسرائيل تدخل غزة وتخطف وزراء حماس ورجال البرلمان من داخل بيوتهم، وتقصف غزة قصفاً مكثفاً، وتقتل وتخرّب، وتخطّف، وتمنع عنهم الغذاء، والدواء، وحليب الأطفال، حتى إطلاق سراح الأسير الإسرائيلي، وتدخل لبنان، وتمارس فيه أبشع ألوان التخريب، من الجو، والبحر، والأرض لإطلاق سراح الأسيرين... هذه هي إسرائيل لمن يريد أن يتعامل معها !!

إنّ هذا التعامل الطائش ينّم عن غطرسة وتعنّت لا حد له، ولا نظير له في التعامل السياسي والعسكري في العالم.

وينمّ عن اللاّأخلاقية وفقدان لكل القيم الأخلاقية في الحرب والسلم.

غطرسة لا حدّ لها، ولا أخلاقية، وفقدان للقيم الأخلاقية لا حدّ لها، واحتقار للآخرين لا حد له... نحن نتساءل: كيف يمكن التفاوض والتفاهم مع طرف يتعامل في الحرب والسلم بهذه الشراسة واللاّأخلاقية والتعنّت؟

كيف يرجو حكّام العرب أن يأخذوا من إسرائيل بعض حقوقهم عن طريق التفاوض.

إنّ الأنظمة والكيانات العربية الحاكمة تعطي لإسرائيل في هذه المفاوضات (شرعية الاحتلال والعدوان)، دون أن تأخذ من إسرائيل شيئاً قط.

والمنهج الوحيد الواقعي للتعامل مع إسرائيل هو منهج (المقاومة).

لقد عرفت المقاومة اللبنانية والفلسطينية الإسلاميتين بأيّة لغة تُخاطب إسرائيل.

وهذه اللغة هي اللغة الوحيدة التي تفهمها إسرائيل، وهذا المنطق هو المنطق الوحيد الذي تستوعبه إسرائيل، وتتقبله وتخضع له.

وعبثاً يحاول حكّام العرب أن يكسبوا ثقة إسرائيل واحترامها، ليتعاطوا معها بعض الحقوق والمكاسب في ظل الاعتراف بشرعية إسرائيل، وتطبيع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية وتبادل السفراء والقائمين معها.

إنّ الأنظمة العربية في وهم كبير، ويرتكبون خطأ تاريخياً كبيراً في هذا المنهج الذي يسيرون عليه في التطبيع والتفاوض، والمنهج الصحيح للتعامل مع إسرائيل هو المقاومة الذي تسلكه المقاومة الإسلامية في فلسطين ولبنان، والإنتفاضة التي يتبنّاها الشارع الفلسطيني إزاء العدوان الإسرائيلي.

ورحم الله الإمام الخميني، لقد أدرك من تعنّت إسرائيل وغطرستها وحالتها العدوانية التوسعية ما لم يدركه الكثير من حكّام العرب، فأعلن للمسلمين في خطاباته السياسية: إنّ كلّ حركة للتفاوض والتفاهم مع إسرائيل لا تجدي نفعاً للمسلمين، وأن إسرائيل تزداد شراهة وعدوانا يوما بعد يوم.

والموقف الوحيد هو العمل على إزالة إسرائيل من الخارطة السياسية للشرق الأوسط.

فليستوعب الأمريكان ربيبتهم إسرائيل في ولاية من ولاياتهم، إذا شاءوا... فما دامت إسرائيل قائمة في الشرق الأوسط، فهي (غُدّة

سرطانية) في المنطقة، كما كـان يقـول رحمـه الله، وتبقـى المنطقـة متأججـة، ولا تـذوق طعـم الـسلم أبـداً... ولـو أنّ المـسلمين كـانوا يوحدّون موقفهم وقـرارهم لـم تكـن إسـرائيل قـادرة أن تبقـى فـي المنطقة وتمارس عـدوانها بهـذه الـصورة مـن الهمجيـة، ولـم يكـن بوسـع أمريكـا ولا أوروبـا أن تـدافعا عـن الكيـان الـصهيوني الـذي زرعاه في هذه المنطقة، ولم تذق المنطقة طعـم الـسلام منـذ قامـت إسرائيل إلى اليوم.

ولكنّ مصيبة المسلمين في الأنظمـة التـي تحكمهـم، إلاّ القليـل منها، وسوف تبقى هذه المصيبة ما بقيت هذه الأنظمة.

❊ ❊ ❊

(٦)

الموقف من الأنظمة العربية

بينما كان جماهير الناس في العالم العربي تغلي وتتفاعل مع المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان، بجميع إنتماءاته السياسية من اليمين واليسار والوسط، وبينما كانت عواصم العالم الإسلامي وحواضره ومراكزه السياسية والاقتصادية والعلمية تعج بالمسيرات والتظاهرات تعبيراً عن تعاطفهم مع حزب الله، كنا نجد حكام العرب والمسلمين، إلاّ القليل منهم، ينظرون إلى المقاومة نظرة فتور ومقت، ولم نسمع منهم كلمة تقييم وتقدير واحترام لكل هذه البسالة والشجاعة التي أعجبت جماهير العالم الإسلامي ودعتهم إلى الاصطفاف مع المقاومة وإعلان التضامن معهم.

لم نجد أثراً لكل هتافات التأييد والتضامن في دمشق، وبغداد، وطهران، وعمان، والبحرين، والجزائر، والكويت، والقاهرة، والدار البيضاء، وأنقرة، واسطانبول... في مواقف الزعماء السياسيين للعالم الإسلامي والعالم العربي (عدا نفر محدود منهم).

وفي اجتماع وزراء خارجية العرب في بيروت لإسناد موقف لبنان، وإعلان التضامن (الإعلامي) مع لبنان، طلب أحد القادة

اللبنانيين من وزراء خارجية العرب أن يسجلوا تحية إكبار وشكر لمواقف المقاومة الإسلامية الباسلة، فوجم الجميع ولم ينبس أحد منهم ببنت شفة.

وقد كان بإمكان حكام العرب خصوصاً وحكّام المسلمين عموماً أن يصنعوا الشيء الكثير لدعم وإسناد أبطال حزب الله سياسيّاً واقتصادياً، ويمارسوا ضغطاً قوياً على مراكز القرار في الغرب، دون أن ينزلوا إلى ساحة القتال.

فلو أجمعت هذه الأنظمة على قرار بخصوص المجازر التي ارتكبتها إسرائيل في لبنان لأوقف مجلس الأمن هذه المجازر، ولم تتمكّن أمريكا، ولا بريطانيا من وقف قرار مجلس الأمن بوقف النار، ولو أنهّم هدّدوهم بقطع النفط لاستجابت أمريكا للإرادة العربية، ولو أنهم علّقوا صدور النفط لمدة شهر فقط لإعلان التضامن مع المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين لَلانَ الموقف الأمريكي، ولم تجرأ أمريكا على مخالفة الدول العربية، أو الدول الإسلامية برُمَّتها.

وقد تتساءل وتقول: ليس الأمر كذلك، فقد أوفد وزراء خارجية العرب من بيروت وفداً إلى أمريكا يُعَبر عن إرادتهم جميعاً بوقف إطلاق النار طبقاً للنقاط السبعة التي أعلنها رئيس

وزراء لبنان، وهو أقل ما يمكن أن يحقق مطالب لبنان في هذا الخراب والحريق والمجزرة الواسعة في لبنان فذهبوا إلى أمريكا يمثّلون الأنظمة العربية جميعاً فأرجعتهم أمريكا إلى عواصم بلادهم بخفي حنين، وقد كانت خيبة (حنين) أقل من خيبة وفد وزراء خارجية العرب، فماذا تصنع الأنظمة العربية بعد هذه المبادرة والإقدام والعودة الفاشلة؟

أقول: إنّهم ذهبوا إلى أمريكا بمشروع تقديم التماس إلى أمريكا وبريطانيا وأعضاء مجلس الأمن لوقف إطلاق النار، فنصحتهم أمريكا ألا يعودوا، وعادوا كما ذهبوا بغير نتيجة.

ولو أنهم كانوا قد ذهبوا إلى أمريكا بقرار عربي، لكانت أمريكا ترضخ لقرار وزراء خارجية العرب، ولا تجرأ على تجاوز الموقف والقرار العربي.

ولكن أمريكا تعلم جيداً، إنّ الأنظمة العربية لا تملك الجرأة على مخالفة القرار الأمريكي بموقف وقرار مخالف... وإنّما تطلب من أمريكا طلباً، وتلتمس منها التماساً، فتنصحهم أمريكا بأنّ المسألة أكبر مما يظنون، وأنّ القضية أهم من ماء وجه الأنظمة العربية، فما عليهم إلاّ أن يرجعوا إلى عواصمهم صابرين محتسبين.

نحن في هذه القضية (الموقف من الأنظمة العربية والإسلامية

الصديقة لأمريكا)... نقف تجاه قضية خطيرة وحساسة من أهم قضايا الأُمة الإسلامية، تتطلب منا الدراسة والتفكير الكثير.

علاقة الأنظمة بدول الاستكبار العالمي

وسوف أطرح هنا بعض النقاط في هذا المقال، على أمل أن يولي كتابنا السياسيون قضية الموقف من (الأنظمة) المزيد من الاهتمام والتفكير... وهذه النقاط هي:

١ ـ الفاصلة الشاسعة التي تفصل الأنظمة عن شعوب العالم الإسلامي عموماً والعرب خصوصاً، وذلك في الولاء والبراءة، والرفض والقبول، فما تُقدِم عليه الأنظمة تعارضه الشعوب، وما تعارضه الأنظمة تطالب به شعوبها، وعلى هذا النهج تتسع يوماً بعد يوم الفجوة والتقاطع والتخالف بين الأنظمة وشعوبها، حتى أنّ جماهير الناس يخرجون إلى الشوارع يطالبون الحكام بعدم الترشيح لدورة جديدة من الرئاسة، وكفاية الترشيح والرئاسة لئلا يتحول النظام الجمهوري إلى نظام ملكي وراثي يحمل كل سلبيات الأنظمة الملكية الوراثية.

ويعيش الحكام ومن يلفّ حولهم في ترف وبذخ يقلّ نظيره في أمثال بلادنا، بينما تعيش الشعوب في بؤس وفقر وحرمان.

ورغم وفرة المصادر الاقتصادية عندنا في المنطقة الإسلامية،

وفي المنطقة العربية خصوصاً، فإننا نجد أنّ اقتصاد العالم الإسلامي اقتصاد (تبعي) غالباً، ومرتبط بعجلة الاقتصاد الاستكباري، وفاقد لحالة الإكتفاء الذاتي، وعلاقاتنا الاقتصادية الخارجية من سنخ التبعية، وليس من سنخ العلاقة الاقتصادية المتكافئة... وهذه الحالة تنتج نتيجتين:

أولاهما: التخلف الاقتصادي.

و**الثانية**: التبعية السياسية، فان التبعية السياسية لا تنفك عن التبعية الاقتصادية، وهي خطة اقتصادية، تخططها دول الاستكبار العالمي للإبقاء على حالة التبعية السياسية للعالم الإسلامي.

٢ ـ والسبب الأساس في هذه الفاصلة الشاسعة بين الأنظمة وشعوب العالم الإسلامي: إنّ هذه الأنظمة لم تتسلّم الحكم، أو لا تستمر في مواقع الحكم والقرار، إلاّ بدعم سياسي واقتصادي من قبل أنظمة الاستكبار العالمي في الغرب. وثمن هذا الدعم أن يبقى ولاء هذه الأنظمة لأنظمة الاستكبار العالمي، وعملهم في صالح هذه الأنظمة الاستكبارية... وهذه العلاقة الحميمة بالاستكبار يعزلهم عن شعوبهم وإراداتها وقرارها، ويجعلهم في صفّ المواجهة والمعارضة غالباً لشعوبهم.

وبطبيعة الحال، أنّ هذه العلاقة بالاستكبار وتطورها وتماسكها،

ومردوداتها، ومضاعفاتها في علاقة الأنظمة بالاستكبار العالمي، ليس بهذا السرد الذي سردناه هنا، إنما تحدثنا عن الأسباب والنتائج فقط، وأما العلاقة نفسها، على أي مستوى تكون من التبعية والعمالة، فهي تمر من خلال شبكة معقدة شديدة التعقيد من العلاقات الاقتصادية والسياسية، وعوامل الارتباط والتبعية... وأخيراً العمالة.

والنتيجة التي نجدها دائماً في علاقة هذه الأنظمة بشعوبها إنّها تحاول أن تطوّع شعوبها وبلادها لخدمة مصالح الاستكبار العالمي، وتتقبل كل الآثار والنتائج المترتبة على ذلك. وقد تدخل في اشتباكات مسلحة مع الناس للدفاع عن مصالح أنظمة الاستكبار، حتى كأنَّ هذه الأنظمة تمثّل مواقع الدفاع عن مصالح الاستكبار العالمي في بلادنا، وتحافظ على مواقع القيمومة الاستكبارية الاقتصادية والسياسية والعسكرية على العالم الإسلامي، وتتكفل للاستكبار بقاء هذه المنطقة من العالم تحت قيمومتها ووصايتها وتبعيتها... في بعض الأحيان.

والحديث عن هذه النقطة ذو شجون.

الموقف والعلاج

والآن نتساءل ما الموقف وما العلاج؟.

إنّ الإجابة عن هذه القضية لا يمكن طرحها في مثل هذه العجالة، وفي مقال بهذا الحجم، ولكن نحاول هنا أن نثير هذه المسألة فقط، للبحث والحوار في الأوساط المعنيّة بهذه المسألة من أُمتنا الإسلامية، فنقول:

إنّ هذه الأنظمة ليست على حدّ واحد في خدمة مصالح الاستكبار العالمي وفي التبعية السياسية والاقتصادية لها.

والعلاج الصحيح لهذه المشكلة من ناحية حكّام العرب العودة إلى أحضان الجمهور، وتبنّي مشاكلهم وقضاياهم، والدفاع عنهم، في مقابل إرادة أنظمة الاستكبار العالمي.

ولكنّ الأنظمة لا تسلك هذا المسلك، وتعتقد أنّ هذا المسلك السياسي يدخل علاقاتها مع الغرب في دائرة حرجة جداً، وفي مجازفات سياسية غير محمودة العواقب، تسبب لها مضايقات كثيرة في علاقاتها الاقتصادية والعسكرية والسياسية مع الغرب، وأمامها الأنموذج الإيراني في تعامله مع الغرب، وما تجنيه كل يوم من مضايقات ومشاكسات إعلامية وسياسية واقتصادية وعسكرية، وقد كانت الحرب التي فرضها صدّام على إيران بإيعاز من الغرب وبشكل خاص أمريكا واحدة من هذه المضايقات.

وهذه الأنظمة عندما تجردُ حساباتها ترى أنّ هذا الحل ليس في

صالحها، وتؤثر بدل حل المشكلة الأساسية في علاقاتها مع شعوبها، أن تلتفّ على هذه القضية وتواجه شعوبها، بمشروعين آخرين أحدهما إعلامي، والآخر: (أمني!!).

أما الإعلام فهو استخدام الإعلام الكاذب، على أوسع صعيد من قبل هذه الأنظمة لتحسين وجهها، وإخراج الباطل بثوب الحقّ، وإخراج الحقّ بثوب الباطل، وهذه هي الأداة الأُولى لمواجهة هذه المشكلة، والتقليل من هذه الفاصلة التي تفصلها عن شعوبها.

وأمّا الأداة الثانية، (الأمنية!!) فهي النار والحديد والقمع والبطش والفتك بمن تسمح له نفسه أن يعلن المعارضة لهذه الأنظمة.

وقد كان المثل (المنحطّ) لهذه السياسة من بين حكام العرب عموماً صدّام حسين التكريتي الذي سوّد وجه التاريخ. وسيبقى المثل الأسوأ للظلم والبطش والفتك بالناس في تاريخ الاستبداد السياسي في العالم الإسلامي، وفي العالم كلّه.

وهذه هي الأداة الثانية السياسية للالتفاف على هذه القضية، يستخدمها الحكام استخداماً واسعاً، على قدر وسعهم في هذا الاستخدام.

ولا يمكن تخوين هؤلاء الحكّام جميعاً، كما لا يصحّ تبرئتهم جميعاً من تهمة الخيانة لمصالح الأُمة... ففي هؤلاء الحكام من لا

يريد الخيانة بشعبه وأرضه ووطنه، ولكنه يرى نفسه بين خيارات صعبة، أيسرها أن يؤثر خدمة مصالح الاستكبار العالمي على خدمة شعبه ووطنه، ومنهم من يرى أنه قد دخل في هذا المدخل ليجتذب لوطنه وشعبه دعم القوى الكبرى، وإسنادها. وإذا سلك هذا المسلك لهذه الغاية، فلا بأس عليه أن يقيم مثل هذه العلاقات مع أنظمة الاستكبار، ولابد أن يلتزم بلوازم هذه العلاقات من حماية مصالح الاستكبار... وهكذا ينجر إلى التقاطع مع شعبه لخدمة مصالح الاستكبار، ولا نريد أن ندخل في تخطئة هذا الاجتهاد السياسي، أو ذاك ومناقشته ففي النتائج التي يصل إليها هؤلاء الحكام من التقاطع مع شعوبهم والولاء لدول الاستكبار العالمي عمداً، خير مناقشة ودليل على ما نقول.

ومن الحكام من يدخل في دائرة العمالة للأنظمة الاستكبارية في الغرب، وهو على بينة من أمره وعددهم ليس بقليل.

الرصد والمراقبة والنوعية:

وعلى كل حال لابد من نشر الوعي السياسي والثقافة السياسية في أوساط الأُمة، ولابد من رصد حركة هؤلاء الحكام وأخطاءهم وخياناتهم ومراقبتهم مراقبة دقيقة، ولابد من تعرية وفضح هذه الأنظمة وأخطاءها وخياناتها.

ولابد من عمل واسع في التوعية السياسية لإحباط مفعول الإعلام السياسي الكاذب الذي يستخدمه هؤلاء الحكام بشكل واسع لتغطية أخطائهم، واضطراراتهم السياسية، وخياناتهم.

ولابد من تعميق حالة المعارضة الشعبية وتوسعتها وتنشيط المعارضة.

كسر حاجز الخوف

ولابدّ من إحباط مشروع الإرهاب والعنف الذي تستخدمه هذه الأنظمة لإسكات الناس، وخنق الحريات، وإرعاب الناس، وذلك بكسر حاجز الخوف، فإن حاجز الخوف يضاعف قوة الأجهزة الأمنية، التي تملكها الأنظمة، لإرعاب الناس وتخويفهم. وعندما ينكسر حاجز الخوف عند الناس، وينزلون جميعاً إلى الشارع بالهتاف وإعلان المعارضة، تضعف الأجهزة الأمنية لهذه الحكومات من ملاحقة الجمهور الواسع الذي ينزل إلى الشارع ويعلن معارضته وسخطه من النظام.

المعارضة الإيجابية

ولابدّ من الاهتمام بتوجيه المعارضة بالاتجاه الإيجابي، وليس بالاتجاه السلبي، فإنّ الأنظمة الاستبدادية تسعدها المعارضة السلبية

السياسية، فإنّ المعارضة السلبية القائمة على (الرفض) فقط، تؤدي إلى تهميش دور المعارضة، وبالضرورة إلى بسط نفوذ الأنظمة.

وقد علمتنا التجارب الكثيرة في ساحة المعارضة أنّ المعارضة يجب ألاّ تعتزل الساحة السياسية والمواقع الإدارية، ولا تقف خارج الحلبة لإعلان النقد والرفض والاعتراض فقط.

والمنهج الذي كنا نسلكه في عملنا السياسي أحياناً من مقاطعة الانتخابات والمواقع منهج يحتاج إلى تعديل كثير، اللهم إلاّ أن تكون هناك مبررات واقعية لمشروع المقاطعة المطلقة، لها حكمها، ولسنا بصدد مناقشة هذه النقطة الآن.

وبعد، فإنّ منهج التعامل مع الأنظمة في العالم الإسلامي والعربي يحتاج إلى دراسة وتأمل وحوار كثير لنخرج في هذه المسألة الحسّاسة الخطيرة بمشروع سياسي متكامل رائد إن شاء الله. ولا يزيد هذا الحديث على أن يكون إثارة لهذه المسألة فقط.

❊ ❊ ❊

(٧)

المشروع الأمريكي الجديد في الشرق الأوسط

الشّرق الأوسط الجديد

لا أعلم إن كانت هذه الكلمة معروفة قبل تصريح (رايس) وزيرة الخارجية الأمريكية أبان الحرب القائمة بين حزب الله وإسرائيل أم لا؟

فقد جاءت (رايس) إلى لبنان لتطالب بإنهاء دور حزب الله في جنوب لبنان، وتجريده من السلاح، وتطبيع العلاقة اللبنانية الإسرائيلية، وتنفيذ قرار مجلس الأمن، بتجريد سلاح حزب الله، بناءً على تفسيرها هي لكلمة الـ (الميلشيا) الواردة في نصّ قرار مجلس الأمن، وتبشر في خطابها بـ (الشرق الأوسط الجديد).

وتستوقفنا هذه الكلمة وتدعونا إلى وقفة تأمل وتفكير.

إنّ المسألة تدخل في الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة وليست فلتة لسان.

إنّ المقصود ب (الشرق الأوسط الجديد) واضح لمن يعرف كيف تفكر رايس... إنها تريد من هذه الكلمة: أن يبقى الاحتلال الإسرائيلي في المنطقة العربية الإسلامية على أراضي الجولان

ومزارع شبعا والأراضي الفلسطينية... ولا تبقى المقاومة.

وبين هذا الإيجاب والسلب نفهم ما تريده (رايس) من هذه الكلمة.

ولكي نفهم مصداقية (الشرق الأوسط الجديد)، بوضوح أكثر يجب أن نرجع بالذاكرة إلى المستجدّات السياسية التي حصلت في هذه المنطقة الحساسة خلال الـ (٢٨) سنة الأخيرة.

لقد تعرّضت المنطقة خلال هذه الفترة لعدّة هزات سياسية قوية، غيرت شيئاً كثيراً من الخارطة السياسية للشرق الأوسط.

وكان أُولى هذه الهزات ما حدث قبل (٢٨) سنة في إيران، لقد غيرت الثورة الإسلامية التي قادها الإمام الخميني رحمه الله الخارطة السياسية في الشرق الأوسط، وخرجت إيران بالكامل من قبضة النفوذ الأمريكي، وحدث ارتباك شديد في المشروع السياسي الأمريكي في المنطقة، واقتدحت الثورة الإسلامية شرارة الثورة في كل المنطقة، في العراق، وفلسطين، وأفغانستان، ولبنان... .

ورغم كلّ المحاولات الأمريكية، لم تتمكّن أمريكا من إستعادة إيران إلى حوزة نفوذها من جديد.

وكانت الشرارة الثانية في لبنان وقيام المقاومة الإسلامية اللبنانية لاستعادة الجنوب اللبناني من إسرائيل، وانتصار المقاومة أخيراً على

إسرائيل، وانسحاب إسرائيل من الجنوب اللبناني.

وكانت الشرارة الثالثة في العراق، ولابد من تفصيل وإيضاح لهذه النقطة التالية.

قاعدة الهلال

لقد كان النظام العراقي مرشحاً للسقوط... ولم يُعد يشك من كان يتتبّع أحداث العراق قبل السقوط في حقيقتين:

الحقيقة الأُولى: إنّ النظام التكريتي أصبح هشاً ضعيفاً في معرض السقوط، ولم يُعد بإمكان النظام الأمني الحديدي الذي أسّسه حزب البعث في العراق أن يقاوم سخط الجمهور وثورة الغضب في الشارع العراقي كثيراً... وهذه هي الحقيقة الأُولى.

و**الحقيقة الثانية**: إنّ المعارضة الإسلامية هي أقوى البدائل المرشحة للقيام مقام النظام الذي أرهقته الحروب والمغامرات والحماقات التي ارتكبها صدام مرّة بعد أُخرى.

وكانت هاتان الحقيقتان لا تخفيان على غرف الرصد الأمريكية... وكانت النتيجة واضحة لدى الأمريكان، إن سارت الأُمور على طبيعتها، فسوف يسقط نظام صدام لا محالة، وسوف يحل الإسلاميون محل صدام ونظامه في الحكم في العراق، والإسلاميون ـ كما هو معروف ـ حالة سياسية مستعصية على النفوذ

الأمريكي.

كلّ هذه الحقائق كانت تستقطب الاهتمام الأمريكي. فكان لابد من تغيير سريع لمجرى الأحداث... والآلية الوحيدة التي تغيّر مجرى الأحداث، ويحوّل السلطة في العراق من صدام إلى الأمريكان، هي أن يقوم الأمريكان أنفسهم بإسقاط صدام، لتتحول السلطة من قبضة صدام إلى قبضة الأمريكان، مباشرة، من دون العبور بالشارع العراقي، فينتهي كل شيء، ويصبح الأمريكان وعملاؤهم البدائل الشرعية لنظام صدام... وهذه خطة دقيقة محكمة، إن سارت الأُمور على ما يرومه الأمريكان في تحويل مجرى الأحداث من البديل الإسلامي إلى البديل الأمريكي.

وعلى هذا الأساس تمّ سقوط نظام صدام على يد الأمريكان مباشرة، ووضع الأمريكان أيديهم على كلّ شيء.

غير أنّ الأمريكان لم يحسبوا حساباً لحضور الإسلاميين الواسع في العراق، وثقة الشارع العراقي بالمرجعية الدينية والإسلاميين، وثقة المرجعية الدينية في الإسلاميين **أولا**، وقدرة الإسلاميين في العراق على التعاطي السياسي مع الأمريكان، وقدرتهم على المرونة السياسية في التعامل مع الأمريكان في سلامة من دينهم وكرامتهم واستقلالهم **ثانياً**.

وقد كانت هذه النقطة موضع نقاش كثير في صفوف الإسلاميين، فكان رأي أكثرهم أنّ حضور الإسلاميين في مواقع الحكم والقرار، وإن كان في دائرة النفوذ الأمريكي أفضل من الغياب... وعلى هذا إستقر موقف الإسلاميين من الحكم في العراق، وكان رأي المرجعية الدينية في هذه المسألة إيجابية، وهو أمر أساسي في هذه المسألة.

والنتيجة التي حصلت من هذه وتلك: إنّ الإسلاميين سجلّوا حضوراً جيداً في مواقع القرار والحكم، وانتخبهم الناس، ووضعوا أمريكا أمام أمر واقع، وبدأوا يضغطون على أمريكا بالانسحاب من العراق... وهكذا وجدت أمريكا نفسها في مقلب سياسي، لم تكن تحسب له حساباً من قبل.

صحيح أنّ القوات الأمريكية تجول في الشوارع والطرق بمدرعاتها، وتجوب سماء العراق بطائراتها العسكرية، ولكن الأحداث كانت تتفاعل بسرعة في الشارع العراقي، باتجاه رفض حضور الأجنبي وسيادته في العراق، والمطالبة بانسحابه، أو على الأقل بجدولة الأنسحاب في فترة قصيرة على الأقل، وحصلت مواجهات مسلّحة كثيرة في الشارع العراقي ضد الحضور الأمريكي، وكانت غرف الرصد الأمريكية بتجاربها الكثيرة في هذا

الميدان تتوقع قيام مقاومة مسلحة ضد الحضور الأمريكي في العراق في وقت قريب.

مثلث العصيان

وعلى هذا المنوال تتكامل الأطراف الثلاثة للعصيان السياسي للنفوذ الأمريكي في إيران والعراق ولبنان.

صحيح أنّ الجيوش الأمريكية لا تزال تجوب أرض العراق وسماءه، ولكن الأمريكان يعرفون جيداً أنّ هذه الحالة لن تدوم طويلا، وأمريكا لا تستطيع أن تضحّي بأكثر مما ضحّت من أبنائها (٢٦٠٠ جندي أمريكي) إلى حين كتابة هذه السطور على الأقل و(المليارات من الدولارات)... والشعب الأمريكي لا يتحمل تضحيات وخسائر أكثر من أبنائه وخزانته في العراق، وعليه فإنّ الوضع السياسي في العراق ينذر الأمريكان بالشر، ويقرع أجراس الإنذار، ويعتبر الأمريكان العراق منذ اليوم ضمن (مثلث العصيان): (إيران والعراق ولبنان).

وهذا المثلث، هو الحالة التي نبّه الأمريكان إليها ملك الأردن عبد الله، وعبّر عنه ب (الهلال الشيعي)، وانتقد فيها السياسة الأمريكية في المنطقة، وحذّر الأمريكان من مغبّة السماح للإسلاميين في العراق للوصول إلى مواقع الحكم والقرار في

العراق...

وهـو نفـسه الحالـة التـي انتقـدت فيهـا الخارجيـة الـسعودية الأمريكان على خططهم السياسية في العراق وفي المنطقة.

إنّ طرفي هذا الهلال المستعصي على الإرادة الأمريكيـة إيـران ولبنان، وقاعدته المقعرة العراق.

ومـشكلة (مثلـث العـصيان) أن الـولاء فـي هـذا المثلـث لـيس للأمريكان. وهذه نقطة خطيرة بالنسبة إلى الأمريكان في المنطقة.

وقد عبّر (حسني مبارك) عن هذه الحقيقة نفسها بطريقة أُخرى، فقال ـ في المقابلة التي أجريت له ـ: إنّ العراقيين ولاؤهـم لإيـران... وهو تعبير سياسي ذكي عـن مسألة أُخـرى، وهـي أنّ الأمريكـان لا يحوزون على ولاء الحكام العراقيين الجـدد بالـضرورة، وأنّ مواقع النفوذ والقرار في العراق ـ في مرحلته الجديدة بعد صدّام ـ خرجت عن دائرة النفوذ الأمريكي، وهو تعبير ذكي ودقيق ـ كما قلت ـ يثير حساسيّة الدول العربية وحساسية الأمريكان، غير أنّ حـسني مبـارك لم يقدّر أنّ هذه الكلمة سوف تغضب العراقيين، أيّما غضب.

وعلى نحو الإجمال، هذا هـو مثلـث العـصيان والـرفض لـلإرادة الاسـتكبارية الأمريكيــة فــي الــشرق الأوســط، وهــو أمــر يهــم الأمريكان كثيراً... ويدركونه جيداً.

وما انتبه إليـه الملـك عبـدالله فـي الأُردن والخارجيـة الـسعودية، وحسني مبارك في مصر لا تخفى علـى الأمريكـان، غيـر أنـه خفـي على القيادات الأردنية والسعودية والمصرية أن أمريكـا قبلـت بهـذا الحلّ في العراق مكرهة، ولـم تجد أمامها خيارات أُخـرى لتختارهـا عليه، وأنّ الإسلاميين في العراق وصلوا إلى مواقـع الحكـم والقـرار من منطلق الأمر الواقع، وليس مـن منطلـق الخيـارات التـي تختارهـا أمريكا للعراق، وليس من مـصلحة أمريكـا أن تلجـأ إلـى الأُسـلوب الصدامي في فرض إرادتها بالحديد والنار... فإنها سوف تستعجل ـ في هذه الحالة ـ بالمقاومة المسلحة العراقية الشرسة، التي لا تطيقهـا أمريكا... ويصدق على أمريكا في هذا الخيار أنها (مكرهة وليـست بطلة).

ومهما يكن من أمر فقد حصل تغيير أساسي منذ (٢٨) سـنة فـي الخارطة السياسية للشرق الأوسط... وهذا التغيير يجري على خلاف الاستراتيجية الأمريكية بالتأكيد... ولابـد مـن عمـل جـاد وتخطـيط لإحباط (مثلث العصيان) في الـشرق الأوسـط، وهـذا التخطـيط هـو الذي تشير إليه كونداليزارايس (حمّالة الحطب)، وزيـرة الخارجيـة الأمريكيـة عنـدما وجـدت أن الجـيش الإسـرائيلي، بكـل تجهيزاتـه تلقـى صـفعات قويـة مـن جانـب حـزب الله... فأعلنـت عـن القـرار

الأمريكي في رسم خارطة الشرق الأوسط من جديد، وسمته بـ (الشرق الأوسط الجديد).

الآليات الأمريكية لإحباط مثلث العصيان

فما هي الآليات الأمريكية الاستكبارية لإلغاء (مثلث العصيان) من الخارطة السياسية للشرق الأوسط.

إنّ مَن يتتبع الأوضاع السياسية في المنطقة، والخطاب الأمريكي لا يشق عليه أن يعرف الآليات الأمريكية المفضلة لتذليل هذا المثلث وإلغائه في الشرق الأوسط.

لقد واجهت أمريكا وحلفاؤها إيران بالتهديد باستخدام القوة، واللجوء إلى مجلس الأمن لفرض حصار اقتصادي شديد على إيران، إن لم تستجب إيران، بتعطيل برنامجها النووي، وشفعت هذا التهديد بحزمة من المرّغبات الاقتصادية، كما يخدع الناس الأطفال بقطع الحلوى... وتلقّت أمريكا صلابة الموقف الإيراني في المضي قُدُماً في مشروعها النووي السلمي... ولا يزال المشروع النووي الإيراني موضع صراع عنيف بين الجمهورية الإسلامية من جانب وأمريكا وحلفائها من جانب آخر.

ولا تزال أمريكا تهدد إيران باستخدام القوة العسكرية من ناحيتها، أو من ناحية إسرائيل، بضرب المفاعل النووي الإيراني،

وتحويل الملف الإيراني إلى مجلس الأمن لفرض الحصار الاقتصادي والجوي على إيران، إذا أصرت إيران على موقفها الصلب من تخصيب اليورانيوم... وكان في حسبان أمريكا أن تذلل بهذا التهديد الموقف الإيراني، وتلجئها إلى تعطيل مشروعها النووي، ثم يتعقب هذا التنازل مراحل جديدة من التنازل، ويتم ترويض واحتواء الموقف الإيراني الصعب بهذه الصورة.

غير أنّ أحداً لا يستطيع أن يقدّر بصورة علمية نجاح الآلية الأمريكية في تذليل الموقف الإيراني الرافض لإيقاف مشروعه النووي... هذه الآلية الأُولى لتقرير الاستراتيجية الأمريكية في المنطقة.

والآلية الثانية: لتعطيل (العملية السياسية في العراق) هي الإرهاب. والإرهاب الذي يجري في العراق حالة مبرمجة ومخططة لتعطيل العملية السياسية، وإعادة الناس الذين خرجوا إلى الشارع لتقرير مصيرهم السياسي إلى بيوتهم من جديد. وقوام هذا الإرهاب (التطرف الديني) و(حزب البعث) و(الأمريكان) وهذه هي الأضلاع الثلاثة لمثلث الإرهاب، وأمريكا المحركة الرئيسية لحزب البعث والتطرّف الديني في ممارسة الإرهاب في العراق.

ولسنا بصدد شرح هذه النقطة، فإنّ الأدلة على تورط الأمريكان

في مسألة الإرهاب في العراق كثيرة، والإرهاب سيؤدي بالضرورة إلى تعطيل الخدمات التي تقدمها الحكومة للناس. وبذلك فإنّ الأمريكان يلعبون بورقتين خطيرتين في هذا القمار السياسي، وهما الإرهاب وتعطيل أو تقليص الخدمات... والأمريكان يوسعون كل يوم دائرة الإرهاب وتعطيل الخدمات الضرورية للناس، أكثر من ذي قبل، وبذلك يضعون الحكومة المنتخبة من قبل الناس، والمؤيدة من قبل المرجعية في وضع حرج شديد الحراجة، يُنذرُ بالفوضى والشغب، وهذا هو الذي يطلبه الأمريكان بالذات من الإرهاب وتعطيل الخدمات.

والفوضى الشعبية والشغب الذي يراهن عليه الأمريكان في الشارع العراقي هو الفرصة الذهبية التي يطلبها الأمريكان لإقامة حكومة جديدة تحت عنوان (الإنقاذ الوطني)، يتولى فيها عملاء أمريكا الحكم في العراق، وعندئذ يمنع الأمريكان مشاهد الإرهاب وحوادث التفجير في العراق، ويوفّرون الخدمات للناس بشكل يرضي الناس، وتعود الحياة إلى حالتها الطبيعية.

هذا هو التخطيط الأمريكي لإلغاء الحكومة التي انتخبها الناس وأيدتها المرجعية.

ولكنّ في تقديرنا نحن، وهذه قراءة من الداخل، أنّ الشعب

العراقي لن يدخل في المشروع الأمريكي، ولن ينفد صبره وسط أعمال الإرهاب وضعف الخدمات.

ولن تملك الطبقة التي تعتمدها أمريكا في أعمال الشغب والفوضى في العراق هذه القدرة التي تمكّن أمريكا من إسقاط الحكومة واستبدالها بـ(حكومة الإنقاذ الوطني).

والآلية الثالثة: التي تستخدمها أمريكا لتعطيل مثلث العصيان في الشرق الأوسط تجريد حزب الله في لبنان من سلاحه، وتبديله إلى مجموعة سياسية عاطلة عن السلاح، فتفقد دورها في مقاومة إسرائيل، وهو كل شيء في قيمة حزب الله، واستصدرت أمريكا قراراً من مجلس الأمن بتجريد الميليشيات من سلاحها، إلاّ أنّ هذا القرار لم يقوّ على تجريد المقاومة الإسلامية من سلاحها... وكان المشروع الأمريكي الآخر لتجريد سلاح حزب الله أن يتم ذلك على يد القوات الإسرائيلية مباشرة.

وقد رأينا كيف أحبط الله المشروع الأمريكي، وهزم الله الجيش الإسرائيلي هزيمة منكرة، على يد حزب الله.

هذه هي الآليات الأمريكية الاستكبارية للقضاء على مثلث العصيان في الشرق الأوسط، وترويض إيران والعراق ولبنان للإرادة الأمريكية.

وأمريكا تفرغ من إعادة رسم خارطـة الـشرق الأوسـط الجديـد على الأرض، وليس على الورق، يوم تحتوي بشكل كامل الموقف الإيراني والعراقي واللبناني، فهل تقوى على ذلك؟

إنّنـا نـشكّ فـي سـلامة وعقلانيـة الخطـة الأمريكيـة فـي الـشرق الأوسط شكاً كثيراً، ونعتقد أنّ ملك الأردن كان علـى حق، عنـدما خاطب إسرائيل، بعد أن أعلنـت إسـرائيل الحـرب علـى حـزب الله، قائلا:

إنّها بتعنتها وغطرستها أعطت فرصة ذهبية لظهور ظاهرة (حزب الله) في كل مكان، في عمان، والقاهرة، وبغـداد، والجزائـر، والـدار البيضاء، واليمن...

وأنّ أمر حزب الله لم يَعد بعدُ هذه الحرب تقتصر علـى جنـوب لبنان فقط، وسوف نشهد ولادة حزب الله في كل مكان.



(٨)

مجلس الأمن

ماذا يفعل المسلمون بمجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة، وهما خاضعان بالكامل لنفوذ أمريكا، وبعد ذلك لنفوذ الدول الأربعة الأُخرى صاحبة قرار الرفض في مجلس الأمن.

إنّ ملياراً وثلاثمائة مليون مسلم لا شأن لهم في قرار الرفض في مجلس الأمن، ويختص هذا القرار بالدول الكبرى فقط... وبإمكان أمريكا وحدها، أن توقف رأي (١٨٠) دولة مشاركة في هيئة الأُمم المتحدة ومجلس الأمن باستخدام (الفيتو: حق الرفض)، فلا يستطيع مجلس الأمن أن يصنع شيئاً بعد ذلك.

وقد افتتح كوفي أنان سكرتير مجلس الأمن الجلسة الأخيرة التي قررت وقف أطلاق النار بعد (٣٣) يوماً يحترق فيه لبنان تحت قصف إسرائيل بهذه الكلمة الموجعة:

قال في افتتاح الجلسة، وأنا لا أذكر نصّ الكلمة وإنّما انقل مضمونها: إنني أكون خائناً لمسؤوليتي في مجلس الأمن - إذا لم أسجل هنا خبيتي في هذا المجلس، إنّ لبنان يحترق بالنار منذ (٣٣) يوماً، ومجلس الأمن لم يتمكّن أن يتّخذ قراراً لوقف إطلاق النار.

لقد اجتمع مجلس الأمن خلال هذه الفترة أكثر من مرة، وكان المجتمعون يقررون وقف إطلاق النار في لبنان فوراً.

ولكنّ أمريكا وحليفتها بريطانيا لوحدهما كانا يرفضان القرار، ويوقفانه.

وبإمكان أمريكا وحدها أن توقف قرار مجلس الأمن، فماذا يصنع المسلمون بمجلس الأمن هذا؟

وهذا السؤال جاد، ليس فيه تعجيز ولا تحدي، وإنما فيه دعوة للمسلمين إلى أن يفهموا جيداً قيمة هذه المؤسسة الدولية، ودورها، وحظّها من الحياد والانحياز تجاه أمريكا خصوصاً، وتجاه سائر أنظمة الاستكبار العالمي عموماً.

كان لبنان يحترق تحت القصف الإسرائيلي، ونزح مليون إنسان في لبنان إلى الأردن وسوريا، سكنوا المدارس، والمساجد، وبيوت الناس، وأكثر من (١٥/٠٠٠) داراً تهدّمت على ما فيها من الناس والأثاث، وتهدمت البنى التحتية في لبنان من الجسور ومحطّات الكهرباء ومخازن الماء والوقود والمستشفيات وشبكات الهاتف، وجرت مجزرة قانا السيئة الصيت في هذه الأيام، وانتفض الضمير الإنساني، في كل مكان لقصف قرية قانا على يد الطيارين الإسرائيليين بهذه الطريقة الهمجية.

وكان القصف والتخريب والقتل والمجازر البشرية يومئذ على أشدّها.

واجتمع مجلس الأمن، ولم يتمكن من وقف إطلاق النار!! ولم يتمكن من إدانة هذه الهمجية الإسرائيلية على أقل التقادير!!... ولم يتمكن من إدانة إسرائيل في مجزرة قانا التي هزت الضمير الإنساني في كل مكان!!

فماذا يفعل المسلمون بمجلس الأمن؟

ولو أنّ المسلمين علّقوا علاقاتهم بمجلس الأمن وهيئة الأُمم المتحدة إنقاد لهم هذا المجلس الاستكباري البتة...

ولكنّ ما الحيلة، وقرار المقاطعة والمتابعة والرفض والتسليم ليس بأيدي جماهير المسلمين، وإنّما يتحكم فيه الحكام الذين باعوا كل شيء لأنظمة الاستكبار العالمي، حتى ضمائرهم.

إنّ مصيبتنا في حكامنا أكبر من مصيبتنا بأمريكا ومجلس الأمن وإسرائيل.

إنّ انحصار قرار الرفض(الفيتو) في الدول الخمسة فقط أكبر إحتقار توجهه المنظمة الدولية إلى المسلمين والعرب جميعاً، ولكننا للأسف، تطّبعنا على هذا الاحتقار، حتى عدنا لا نشعر به.

إنّ الأُسرة الدولية الكبيرة بحاجة إلى منظمة دولية تعبرّ عن رأي الأُسرة الكبيرة، وليس فقط عن إرادة وموقف أنظمة الاستكبار العالمي.

ولم تعد المنظمة الدولية الحاضرة قادرة على أداء هذا الدور

العادل في العلاقات الدولية.

ولو أنّ المسلمين قاطعوا هذه المنظمة الدولية لسقطت المنظمة المنحازة، وفقد الاستكبار العالمي آلية دولية من أعظم آليات الاستكبار في علاقاتها مع الأنظمة المستضعفة، مسلمين وغير مسلمين.

ولكن ماذا نفعل إذا كنا نحن بأيدينا نعطي الشرعية لهذه المنظمة المنحازة، التي تمارس أقبح أنواع الظلم والإمتهان والإحتقار بحق مليار وثلاثمائة مليون مسلم.

إنّ مجلس الأمن يحتكر الشرعية والقوة والقرار لصالح دول الاستكبار الخمسة لضرب من تريد أمريكا ضربه، وإدانة من تريد إدانته، والتغاضي عن عدوان من تريد التغاضي عنه.

وسوف يأتي اليوم الذي يعجب ويأسف فيه أبناؤنا من الجيل القادم لرضوخنا المعيب، ومشاركتنا الضعيفة الموهونة في مجلس الأمن، ويتساءلون ماذا دهى آباءنا حتى قبلوا بكل هذا الإحتقار والإمتهان في علاقاتهم الدولية.

أوَليس الله قد أعزّهم بالإسلام: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِه وَلِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ فلماذا تقبّلوا كلّ هذا الإمتهان من المنظمة الدولية المنحازة.

(٩)

كيف كافأنا حزب الله

هذا السؤال هام أرى من المفيد أن أطرحه للبحث والجواب.

وقبل أن أدخل الجواب أقول لقد كافأ جمهور المسلمين حزب الله بهذه المبادرة الشجاعة والتضحية والبسالة خير جزاء.

خرج ملايين المسلمين إلى الشوارع في مراكز العالم الإسلامي من جاكارتا إلى سمرقند وبخارا، ومن طنجة والدار البيضاء إلى دلهي وبمباي، يعلنون تضامنهم مع حزب الله، ويحذّرون أمريكا وعملاءها في المنطقة، ويشتبكون مع رجال البوليس في إعلان الموقف وتسجيل التضامن والتعاطف... لقد خرج شباب المسلمين في القاهرة وعمان والكويت ودمشق وطهران وكابل واسطنبول يطالبون بالإنضمام إلى صفوف حزب الله.

ولمع اسم الأمين العام لحزب الله وقائد المقاومة الإسلامية في لبنان ـ السيّد حسن نصر الله ـ في كلّ العالم الإسلامي بدون استثناء، وارتفعت صوره كل مكان في تحد واضح لدعاة التطبيع والمهزومين سياسيّاً ونفسيّاً أمام إسرائيل، وأصبح نصر الله رمزاً للمقاومة الإسلامية في كل مكان، يتغنّى باسمه جماهير المسلمين، ويجدون فيه القدوة والقيادة التي يطلبونها.

إنّ هذا التعاطف الواسع، والتضامن الكبير في فترة قصيرة يكشف عن حيوية كبيرة في ضمير العالم الإسلامي، وأنّ المسلمين رغم كل الحواجز الإقليمية والسياسية والقومية والطائفية التي أقامها الاستكبار الغربي في العالم الإسلامي... أقول إنّ المسلمين رغم كل هذه الحواجز الكبيرة قادرون على تخطي كل هذه الحواجز، فترى جمهور العالم الإسلامي في أقل من أسبوع كالبحر يرفده المسلمون من كل حدب وصوب، لا تكاد تميّز فيه العربي عن الكردي والفارسي عن التركي والسني من الشيعي والمصري من الجزائري، إنّ هذه الحالة من الإندماج السريع والترافد في بحر هذه الأُمّة التي جعلها الله خير أُمّة أخرجت للناس... إمارة الصحة والصحوة والحيّوية.

أجل، جزى الله خيراً جمهور هذه الأُمة المباركة، فقد كان وفيّاً للمقاومة الإسلامية، متضامناً ومتعاطفاً معه، ولم يأل هذا الجمهور جُهداً في دعم المقاومة وإسناده وإشعاره بأنه يقف معه، في هتاف واحد، وشعار واحد، وموقف واحد.

لقد عرف الناس جميعاً هذه الحقيقة.

فلسنا نقصد بهذا السؤال جماهير الأُمة، وإنما نقصد به الكيانات

الرسمية والسياسية في العالم الإسلامي، لقد فوجيء الرأي العام الإسلامي بالفتور والتوجّس، بل والتنكر، الذي واجه به بعض حكام العرب، وبعض الأنظمة العربية، وبعض الأحزاب السياسية في لبنان هذا الإقدام الشجاع الذي قام به حزب الله في إختراق الحواجز الأمنية الإسرائيلية ببسالة وكفاءة ونجاح.

لقد تنصّلت هذه الأنظمة من تبنّي هذه العملية، بشكل واضح، واعتبرته توريطاً للأنظمة العربية في معركة ساخنة في مواجهة لإسرائيل لا يريدونها، ولا يطلبونها.

وكانوا يعلنون ذلك... ولم نسمع كلمة تشجيع وتثبيت ودعم لحكام العرب والمسلمين، إلاّ نادراً كالموقف الإيراني والسوري مثلا.

واجتمع وزراء خارجية العرب في بيروت للتعبير عن تضامنهم مع لبنان في هذه الكارثة التي حلت بلبنان من جانب إسرائيل، وقد كانت المعركة في حينها على أشدّها، فلم نسمع كلمة تثبيت ودعم لوزراء خارجية العرب... وعندما طلب منهم أحد القادة اللبنانيين تسجيل تحية لحزب الله في هذا اللقاء واجهه القوم بالصمت والوجوم.

ولقد كان الموقف من ناحية الحكام العرب أوّل الأمر، يسير

باتجاه عكسي، باتجاه التّبري من هذه المغامرة غير محمودة العواقب، كما كانوا يقولون، والتنصّل عما يقوم به حزب الله وإعلان هذه البراءة والتنصل منه.

والذي خفّف من حدة هذا الموقف السلبي عند حكام العرب أمران:

الأمر الأوّل: التضامن والتعاطف الواسع من قبل المسلمين الذي أخجل الحكام من مواقفهم السلبية المعلنة تجاه حزب الله.

الأمر الثاني: الهزائم المتلاحقة التي كانت تلحق بالجيش الإسرائيلي، على خلاف توقع حكام العرب جميعاً.

وكان لهذين العاملين تأثير واضح في تخفيف نبرة الشجب والتسفيه والإدانة.

ولكنّ لم يتغير الموقف عند هؤلاء إلى موقف إيجابي قط، وبقي الفتور والبرود هو الطابع العام للموقف العربي من ملحمة حزب الله في جنوب لبنان.

ترى لماذا كل هذا الوجوم والفتور؟

لأنّ تقدير موقف حزب الله، وإبراز هذه البطولة النادرة في مواجهة إسرائيل يتضمن إدانة لتراجع الأنظمة العربية أمام القوات الإسرائيلية وانسحابهم سنة (١٩٦٧م) أمام زحف الجيش

الإسرائيلي، وتمكين إسرائيل من الاستيلاء على مساحات واسعة من الأراضي العربية الإسلامية، من ضمنها القدس والخليل وحيفا ويافا وغيرها وممارسات التطبيع مع إسرائيل بعد ذلك...؟

أم أنّ حكّام العرب، في الغالب، من موقع المسؤولية عيونهم عالقة بالإشارات الأمريكية الحمراء، ولا يستطيعون تجاوز هذه العلامات إلاّ بإذن وقرار، وليس بإمكانهم إختراق الخط الأحمر الذي ترسمه أمريكا.

أنّ قرار الأنظمة العربية ليس هو القرار الأمريكي بالضرورة، ولكن الذي لا نشك فيه: إنّ هذه الأنظمة لا تستطيع تجاوز الخطوط الحمراء الأمريكية في علاقاتها السياسية وقراراتها الدولية.

وحزب الله في الاعتبارات الأمريكية يدخل في دائرة الإرهاب، لا شكّ في ذلك، وضمن المنطقة الحمراء، وليس بإمكان هذه الأنظمة أن تدعم حركة تصفها أمريكا بالإرهاب، حتى بالكلمة، فضلا عن الموقف والمال والسلاح.

هذه هي الكارثة السياسية، بعينها، أن الأنظمة العربية والإسلامية تأخذ معاييرها ومقاييسها في فهم الأشياء من الثقافة السياسية والإعلام السياسي الغربي.

والفصل الثاني من هذه المكافئة في لبنان، بالذات، لقد بدأت

الأصوات ترتفع في بعض الأوساط السياسية اللبنانية بتجريد حزب الله من سلاحه، ولما يزل العدو على الأرض اللبنانية، ولما تزل البيوت تتهدم على رؤوس أصحابها كما قال السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله، ولا يزال الكثير من أبناء هذا البلد مدفونون تحت الأنقاض... ولم يكن بوسع هؤلاء أن يضبطوا أعصابهم ليتم تنفيذ قرار وقف إطلاق النار، ويرجع العدو إلى الخط الأزرق كما يقولون.

وقد سمع المسلمون جميعاً هذه الصيحات الناشزة، من داخل لبنان، وداخل الوسط السياسي في لبنان.

ولو أنّ فريق كرة قدم أحرز فوزاً عالمياً في مباريات الكرة، ثم طالب أحد بتجريد هذا الفريق من الكرة لارتفعت صرخات الاستنكار والشجب من الجميع.

لقد حقّق حزب الله أوّل هزيمة عسكرية في الجيش الإسرائيلي، كما قال أمير قطر في لقائه مع رئيس جمهورية لبنان، ومعنى ذلك أنّ هذه المجموعة الصغيرة المحدودة حققت ما عجزت عنه الأنظمة العربية جميعاً.

فكان نصيب هذه العصابة المؤمنة من حزب الله الدعوة إلى تجريدها من السلاح الذي هزموا به إسرائيل.

نحـن نتـرك للقـاريء تقـدير الـدواعي والأسـباب الحقيقيـة وخلفيّات هذه الدعوة، ولما تزل إسرائيل تمارس القصف والعدوان على لبنان، ولسنا بصدد تحليل هذه النقطة.

ولكن أقـول إنّ ناسـاً، مهمـا كـان إنتمـاؤهم الـسياسي، يرضـون بإسرائيل على الأرض اللبنانية، وبالعـدوان الإسـرائيلي، ولا يرضـون بأن تحمل شريحة من أبناء بلدهم السلاح لدرء العدوان والاحـتلال عن بلدهم... هؤلاء النـاس يعـانون مـن حالـة مرضـية سياسـية بالغـة الخطورة... وأنّ انتشار هذا المرض السياسي الحزبي، وقبوله بحجـة التعددية السياسية فـي العـالم الإسـلامي، يـؤدي إلـى آثـار تخريبيـة واسعة في مستقبلنا السياسي.

وعلينا نحن في العـالم الإسـلامي، والعربـي أن نعمـل لمكافحـة هذه الحالة المرضية السياسية، ولا نسمح للتعدديـة الـسياسية داخـل العـالم الإسـلامي أن تنـزل بنـا إلـى هـذا الحـضيض مـن التقاطعـات السياسية في القيم والمواقف.

أقول إنّ المقاومة الإسلامية في لبنان وفي فلسطين لا يعتمد مثل هـذا الوسـط الرسـمي والحزبـي، وإنمـا يعتمـد الـشارع الإسـلامي، والجمهور، وهو وسـط مبـارك وتربـة خـصبة، تُقـدّر هـذه البطولـة، وتشجّعها، وتتضامن معها.

ولكننا لا يمكننـا علـى كـل حـال أن نمـرّ بمثـل هـذه الحـالات المرضية السياسية، من دون تفكر ودراسة ولا توقف.

إننا أسأنا كثيراً فهـم التعدديـة الـسياسية واسـتخدامها فـي العـالم الإسلامي، حتى عاد معنى التعددية عند البعض السماح بالتقاطع في القـيم والمواقـف، وتعـريض القـيم الإسـلامية والثوابـت الـسياسية المتبناة من قبل الجماهير لهزات شديدة.

❊ ❊ ❊

(١٠)

التّضليل الإعلامي

للإعلام الدور الأوّل في تضليل الرأي العام في قضايانا السياسية وتستخدم أنظمة الاستكبار العالمي الإعلام أداة فعالة قوية في تضليل الرأي العام وتحريفه.

والإعلام اليوم علم، يدرس في الدراسات العليا، ومهمة هذا العلم في أنظمة الاستكبار العالمي: إبطال الحقوق وإحقاق الباطل، وتقريب البعيد وإبعاد القريب، وتشويه صورة الصديق حتى نراه عدواً، وتجميل صورة العدو حتى نراه صديقاً.

ويدخل الإعلام في معركتنا الحاضرة في العالم الإسلامي عنصراً أساسياً، لا غنى لنا عنه، وجزءاً أساسياً في المعركة.

ومن أعجب ما شاهدنا من التضليل الإعلامي من قبل أنظمة الاستكبار العالمي في حرب الأسابيع الخمسة التأكيد على الدور الإيراني والسوري في هذه المعركة.

وهو أمر غريب، فقد كانت الدّبابات الإسرائيلية المتطورّة تحترق، واحدة بعد أُخرى، تحت وابل صواريخ حزب الله، وتسجّل إسرائيل هزيمة بعد هزيمة في جنوب لبنان، وفي الحدود

الفلسطينية (المحتلة) ـ اللبنانية، وتسجل المقاومة الإسلامية أروع الأمثلة في البطولة والبسالة والشجاعة... أجل في وسط هذه الانتصارات والهزائم كان الإعلام الغربي الاستكباري، يشغل الرأي العام بالتمدد الإيراني في العالم العربي، ولبنان، وحزب الله.

وكان للإعلام الأمريكي الدور الأوّل في قيادة هذه الحملة الإعلامية ضد إيران والملف النووي الإيراني وضد سوريا... ومن وراء الإعلام الأمريكي والغربي حشد من الإعلاميين عندنا الذين كانوا يرددون الإعلام الأمريكي، على هيئة الببغاء... من غير تفكير في ماهية هذه الحملة.

وكانت غاية أمريكا من هذه الحملة الإعلامية ضد إيران أمرين اثنين:

الأمر الأوّل: تحريف الرأي العام العالمي والعربي عن هزائم إسرائيل، وإبراز بؤر استقطاب أُخرى عديدة للرأي العام، تلهى الناس وتشغلهم عن هزائم إسرائيل في مقاتلة حزب الله، وحفظ ما يمكن حفظه من ماء وجه إسرائيل في هذه الهزائم المتكرّرة التي الحقها بها حزب الله.

ولست أعرف على التحقيق إن كان هذا الإعلام نفع إسرائيل في ستر عوراتها في هذه المعركة أم لا، ولكن أعلم أنّ أمريكا

وإسرائيل كانتا مصرتين على إدخال الحالة الإيرانية في هذه المعركة بأي ثمن لتحقيق هذه الغاية.

والأمر الثاني: الذي كان يطلبه الأمريكان في هذه الحملة الإعلامية، تسقيط إيران، وتشويه الوجه الإيراني في العالم العربي، وتأليب العرب والأنظمة العربية ضد إيران، وتحضير الحالة الإعلامية والنفسية في العالم وفي المنطقة لضرب المفاعل النووي الإيراني وضرب البنى التحتية الإيرانية، على يد إسرائيل، أو بالسلاح الأمريكي مباشرة.

ومن عجب أنّ الإعلام الغربي والعربي، في المنطقة كان يتغاضى عن التدخل العسكري المباشر لأمريكا في العالم الإسلامي ـ على هيئة الاحتلال العسكري ـ في أفغانستان والعراق، وعلى مرأى ومسمع من العالم، وهو أقبح أشكال التدخل وأشنعها.

... وكان يتغاضى عن المشروع الأمريكي الذي تصرح به أمريكا، على لسان وزيرة خارجيتها، في إعادة رسم (الشرق الأوسط) وتجديد هيكليته السياسية، تحت عنوان (الشرق الأوسط الجديد).

... وكان يتغاضى عن التدخل الأمريكي العسكري في ليبيا وفي السودان وفي الخليج.

... وكان يتغاضى عن التهديد الأمريكي السافر لإيران في مشروعه النووي السلمي، ولسوريا... وأمثال ذلك، ثم يقوم هذا الإعلام في المنطقة وفي الغرب بإبراز الدور الإيراني في هذه المعركة.

وأكبر اتّهام إيران في هذه القضية أنها تُسلح حزب الله وتموّله، وتمكّنه من إسرائيل.

ولست أدري مدى صحّة هذا الاتهّام، ولكنّ هذا الاتّهام يُشرّف إيران، في المعركة القائمة بين الإسلام والصهيونية العالمية... وكان ينبغي أن يقوم بهذا الدور قبل إيران الأنظمة العربية، اللصيقة بهذه القضية، وأن يصطفوا مع (حزب الله) و(حماس) في مواقعهم الصعبة والصلبة.

ولست أدري إن كان رجال الإعلام الذين يبثون هذا الكلام يُقدّرون أنّ الجمهور الذي يتلقىّ هذا الإعلام يعجب من هذا الكلام (الفارغ) من كل قيمة وحقيقة أم لا؟

إنّ إبراز مثل هذا الإعلام إلى الناس نحو من الإحتقار لعقول الناس وامتهانهم... والناس يدركون هذا المعنى.

إنّ من أكبر أخطاء الإعلاميين إحتقار عقول الناس، بهذا الحدّ، واعتقادهم بأن الناس يصدّقون بكل ما يصلهم من الإعلام.

إنّ الجمهور يفهم ويدرك، وليس كما يعتقد رجال الإعلام موضعاً للاستهلاك الإعلامي فقط.

لقد كان الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله حفظه الله صريحاً تجاه الإعلاميين عندما طرحوا عليه ما يذكره الإعلام من أنّ هذه العملية كانت بتوجيه الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ولتخفيف الوطء عن الملف النووي الإيراني... قال لهم السيّد حسن نصر الله مستنكراً: نحن نُعرّض أعزائنا للقتل، ونعرض بيوت أهلنا في لبنان للتخريب، ونتسبّب في نزوح مئاة الآلاف من الناس من بيوتهم من أجل أن نخفّف الوطء عن الملف النووي الإيراني!!!

هذا كلام سخيف، وغير مسؤول وإحتقار لعقول الناس.

إنّ هذا السخف الذي وصف به السيّد الإعلام المضلّل (الأمريكي والإسرائيلي) ومن يجري مجراهم من الإعلاميين، يدركه الناس جيداً، ولا يغيب عنهم.

ويبقى إنّنا لا نملك إعلاماً قوياً بقوّة الإعلام المضاد حتى نكشف للرأي العام ما يحمله هذا الإعلام من التضليل السياسي والاحتقار لعقول الناس.

ومهما يكن من أمر، فإن علينا أن نُفكّر بجدّ في المسالة الإعلامية، فأنها اليوم جزء لا يتجزأ من المعركة، وما لم نمتلك

إعلاماً قوياً يُقدّم إضاءات كاشفة للأحداث السياسية التي تمر على العالم الإسلامي لا نستطيع أن نزيل الظلمات الإعلامية التي تزحف علينا من الغرب.

❊ ❊ ❊

(١١)

الحواجز الطائفية

إنّ الاختلاف في العقيدة والاجتهاد الفقهي والرأي والفهم بين المسلمين أمر واقع لا سبيل إلى إنكاره.

إلاّ أنّ الاستكبار العالمي يحاول أن يجعل من هذا الاختلاف في العقيدة والاجتهاد حاجزاً بين المسلمين، يعزلهم عن بعض، وهذه هي نقطة الخلاف الجوهرية بيننا وبين دعاة الطائفية السياسية، والمقاطعة المذهبية بين المسلمين.

وإذا فرّقنا بين الأمرين يهون علينا علاج هذه المشكلة المستعصية على أئمة الإصلاح والتقريب بين المسلمين من السنّة والشيعة.

نحن لا ندعو الشيعة إلى أن يتنازلوا عن عقائدهم ومتبنياتهم وإلى قبول أفكار أهل السنة واجتهاداتهم، ولا العكس.

ولكن هناك اتجاهين في التعامل مع هذا الاختلاف في العقيدة والرأي.

الاتّجاه الأوّل: هو الإنجرار من منطلق الإختلاف إلى التخالف والتقاطع والتنابذ والتباعد.

والاتّجاه الثاني: التواصل، والتفاهم، والتعاون، والتضامن، والتقارب في المواقف السياسية والاجتماعية وفي العلم والمعرفة أيضاً.

والمنهج الثاني هو منهج أهل البيت عليهم السلام. لقد كانوا يحثّون شيعتهم على ذلك، ويدفعونهم بهذا الاتجاه، ويطلبون منهم زيارة قومهم وأشقّائهم ممن لا يذهب مذهبهم، ويدعونهم إلى حضور صلواتهم، ويؤكدون لهم أنها مجزية وصحيحة، بل في بعض النصوص أنها كالصلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وآله في الصف الأوّل، ويرغّبونهم في مواصلة العلاقة معهم، من الزيارات والمجاملات وعيادة المرضى وتشييع الموتى، وكل ما من شأنه خلق المودة والرحمة والحب في القلوب وإزالة الحواجز النفسية بين المسلمين.

وتصريحات أهل البيت عليهم السلام في ذلك كثيرة رُوِيت عنهم بأسانيد صحيحة ومعتبرة.

وهذا هو النهج الذي نؤمن به ونسعى إليه، ونعتقد بضرورته وأهميته.

ونعتقد أنّ الأُمة الإسلامية في عرضها العريض يؤمن بهذه الحقيقة... ورغم وجود نداءات ودعوات متطرّفة من كل من الفريقين الإسلاميين الكبيرين إلى التقاطع والتخالف... رغم ذلك

هناك استجابة إسلامية صافية، ونقية، وخالية من أية تعقيدات ورواسب وخلفيات متشنجة في الساحتين الإسلاميتين، الشيعية والسنّيّة.

فقد شاهدنا جميعاً التجاوب الشيعي من قبل (حزب الله) لنداءات (حماس) عندما دخلت إسرائيل بغطرسة وهمجية لا حد لها غزة واختطفت وزراء وأعضاء للبرلمان الفلسطيني من داخل بيوتهم، وقصفت بيوتهم واستمر القصف والخطف أسبوعاً كاملا، فانبرى حزب الله لتلبية نداء (حماس) بشجاعة وبسالة، متخطياً كلّ الحواجز الطائفية، لتعلم إسرائيل أن حماس ليست وحدها في الساحة، وإنّما معها حزب الله على خط النار، وعندما انطلق حزب الله في مبادرته البطولية الباسلة، خرج ملايين المسلمين من السنّة والشيعة يتخطّون الحواجز الطائفية ويعلنون تضامنهم مع حزب الله، وينادون: (لا سنية لا شيعية، مقاومة إسلامية).

إنّ الهزاّت السياسية الكبيرة تظهر الجوهر الصافي النقي لفطرة هذه الأُمة، من تحت ركام مخلفات التقاطع والتباعد المذهبي.

نحن نعتقد أنّ الأُمّة الإسلامية اليوم في مواجهة شرسة مع قوى الاستكبار العالمي، وفي مقدمتها أمريكا وإسرائيل، والمعركة شرسة وضارية وصعبة ومصيرية، ولا تتقبل هذه المعركة الحلول

النصفية الترقيعية التي يحرص عليها حكام العرب تجاه إسرائيل.

ولا يستطيع المسلمون أن يدخلوا هذه المعركة إلاّ إذا اجتمعت أيديهم، وتوحدت مواقفهم وقراراتهم في مواجهة إسرائيل، ولن يتم شيء من ذلك إلاّ عبر تجاوز الحواجز النفسية الطائفية.

وهذه المهمّة تتطلب من علماء المسلمين ومن منابر الإسلام توجيه المسلمين اليوم إلى حالة التقارب والتفاهم وتوحيد القرار والموقف السياسي.

وفي غير هذه الحالة لا نستطيع أن نتغلّب على التحدّيات الاستكبارية التي تواجهنا وتواجه الأجيال من بعدنا.

وسبل التقارب والوحدة في العالم الإسلامي ثلاثة:

١ ـ التناصر في الموقف السياسي والجهادي، وتوحيد الموقف والقرار السياسي في معركتنا الشرسة مع إسرائيل وأمريكا وأنظمة الاستكبار العالمي.

٢ ـ التعاطي العلمي الموضوعي بين علماء المسلمين في الفقه والتفسير والحديث والجرح والتعديل، والكلام، ومن شأن هذا التعاطي العلمي أن يفتح آفاقاً للتعامل العلمي، ولا سيما الفقهي والعقائدي بين المذاهب الإسلامية.

٣ ـ التعاون والتفاهم والتآلف بين المسلمين، والتأكيد على

العلاقات الاجتماعية والشخصية المشتركة، والحضور المشترك في مساجد الطرفين، والندوات واللقاءات المشتركة، وكلّ ما من شأنه التقارب بين المسلمين، وإزالة حالة التشنّج المذهبي، وتجاوز الحواجز النفسية بين الطائفتين الإسلاميتين الكبيرتين.

وبعد فهذه دعوة مخلصة نستنتجها من أحداث المواجهة التي تمت بين حزب الله وإسرائيل، والتعاطف والتضامن الإسلامي العام في العالم الإسلامي لحزب الله... نرفعها إلى علماء المسلمين وأئمتهم وخطبائهم ومثقفيهم المخلصين.

❊ ❊ ❊

(١٢)

إغاثة المسلمين

عن رسول الله ﷺ: «من سمع رجلا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»، وقد إستفاضت رواية هذا الحديث ــ بالمضمون ـ عن رسول الله ﷺ عن طريق الفريقين، وممن روى هذا الحديث عن رسول الله ﷺ من المحدثين الشيعة الحرّ العاملي رحمه الله في (وسائل الشيعة) ج١١ ص١٠٨ ح١.

ونور النبّوة والوحي يلوح من هذا الحديث الشريف، وهو حديث عجيب يستوقف الإنسان طويلا، فهو يوجب على نحو الفرض إغاثة المسلمين، إذا حلّت بهم نكبة أو ظلم، والذي لا يستجيب لإستغاثة المسلمين، ولا يسرع إلى إغاثتهم فهو ليس بمسلم.

ولا يقتصر أمره على نفي التقوى والطاعة، وإنّما ينفي هذا الحديث الشريف عنه الإسلام، وليس معنى نفي الإسلام أنه لا يشهد الشهادتين وإنما المعنى خروجه عن دائرة الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، فلا يكون عضواً في الأُسرة المسلمة الكبيرة، إنّ للإنتماء إلى هذه الأُسرة شروط وتكاليف، وفي مقدمة هذه

الشروط والتكاليف النجدة والنصرة والاسراع إلى إغاثة المسلمين، أينما كانوا من مشارق الأرض ومغاربها.

وقد ورد بهذا المضمون نصوص كثيرة في ثقافة الإنتماء والولاء في الإسلام، من ذلك ما رواه المحدثون من الفريقين عن رسول الله ﷺ: «من أصبح ولم يهتم بأُمور المسلمين، فليس منهم، ومن سمع رجلا ينادي يالمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم» (رواه الطبرسي في مكارم الأخلاق ص ١٤٣).

* * *

لقد تعرّضت حركة (حماس) لظلم فظيع من قبل إسرائيل، في حادث أسر الجندي الإسرائيلي... الذي أسرته(حماس) ليقايضوا به إسرائيل في إطلاق سراح الأطفال والنساء، فقط، من مجموعة عشرة ألاف رهينة فلسطينية في سجون إسرائيل، إختطفتهم إسرائيل من داخل بيوتهم وسجنتهم منذ سنين طويلة.

فغضبت الحكومة الإسرائيلية لهذه الجرأة الفلسطينية، ودخلت بقواتها غزة، وقتلت الأبرياء، ودخلت البيوت عنوة، واختطفت الوزراء وأعضاء مجلس الأمة من داخل بيوتهم في إستهتار وغطرسة وهمجية، ودخلت بجرّافاتها فهدمت بيوت الناس على أصحابها، واستمرت هذه العملّية الهمجية الإسرائيلية أُسبوعاً كاملا،

على مسمع ومنظر من المسلمين، وهم يستغيثون، وليس من مغيث، والقنوات الفضائية تحمل كل يوم وليلة إلى مسلمي العالم مشاهد من هذا الظلم الفظيع والغطرسة والعنجهية الإسرائيلية على مسلمي فلسطين.

والأنظمة العربية، وهي تمثل شطراً واسعاً من العالم الإسلامي، لم ترفع استنكار، ولم تعلن إدانة، ولم تستنكر، ولم تتدخل، ولم تتوسّط، وكان القوم الذين يصيبهم هذا الظلم الفظيع قوم من تاميل في سريلانكا، والإسلام لا يقر هذا الظلم حتى إذا كان يجري على التاميل في جزيرة بجنوب الهند... ولهؤلاء الحكام سفراء في تل أبيب، ولتل أبيب سفراء في القاهرة والأردن، وغيرها فلم يعترض سفراؤهم، ولم يطلبوا سفيراً إسرائيلياً لإعلان اعتراض الأنظمة العربية على هذه الهمجية والغطرسة التي تمارسها إسرائيل بحقّ الفلسطينيين.

إنّه شاهد صدق على موت (الضمير الإسلامي) وفقدان (الغيرة الإسلامية) في هذه الأنظمة، وهي حالة مؤسفة ومؤلمة، ومنذرة بالخطر الوشيك على المسلمين، إذا لم يبادر المسلمون لعلاج هذا الأمر.

يحدّثنا التاريخ أنّ معاوية بن أبي سفيان كان يرسل جماعات

من أهل الشام، ليغيروا على أطراف العراق، على الرجال والنساء والأطفال، فيقتلونهم ويسلبون النساء المسلمات والذميات فيقول الإمام أميرالمؤمنين عليه السلام: «ولقد بلغني أن الرجل منهم ـ من جماعة معاوية ـ كان يدخل على المرأة المسلمة، والأُخرى المعاهدة، فينتزع حجلها وقلبها، وقلائدها ورعثها، ما تمتنع منه الاّ بالاسترجاع والاسترحام، ثم انصرفوا وافرين ما نال رجل منهم كلم، ولا أريق لهم دم... فلو أن إمرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً ما كان به ملوماً، بل كان عندي جديراً»[1].

أجل، لقد كانت الأنظمة العربية تشهد أفظع مشاهد الظلم على حكومة فلسطينية من قبل الإسرائيليين، فلم تحرك ساكناً، حتى على قدر براءة الذمة!!

وانبرى (حزب الله) في وسط هذا الوجوم والسكوت، ليعلن غضبه على الغطرسة الإسرائيلية، ملّبياً دعوة حماس، فاختطف جنديين وقتل ثمانية من جنود العدو، وأخرج صرخة الاستغاثة الفلسطينية للمسلمين إلى حيّز الإجابة والإغاثة والتلبية.

ويناقش البعض في مبادرة حزب الله، بأن هذه المبادرة كلّفتهم

(١) نهج البلاغة: ٦٩ ـ ٧٠، الخطبة ٢٧.

وكلفت لبنان كثيراً من الخراب والدمار، وليس له توجيه لمن يعرف حجم الرد الإسرائيلي على مبادرة حزب الله.

أقول لهؤلاء، إنّ ما حقّقه حزب الله هو أعظم بكثير، عما خسره لبنان من العمران، ومما خسره حزب الله من عناصره.

ولقد حقق حزب الله ـ في هذه المعركة أمرين عظيمين:

الأمر الأوّل: النصر الذي حقّقه الله على يده على إسرائيل والهزيمة التي الحقها الله بإسرائيل على أيديهم، وقد كسر ذلك النصر وهذه الهزيمة هيبة إسرائيل العسكرية، التي طالما كانت تتغنى بها منذ سنة ١٩٦٧م حرب الأيام الستة حتى الآن.

والأمر الثاني: الذي حققه حزب الله الاستجابة والإغاثة لاستغاثة حماس من المسلمين، فلا يسجل التاريخ أن ظلماً فظيعاً بهذا الحجم جرى على فئة من المسلمين، ولم ينبر أحد من المسلمين لإغاثتهم.



(١٣)

السّكينة والاستعلاء في المعركة

لابدّ للمقاتلين في المعركة من أمرين:

السلاح والإعداد العسكري **أوّلا**.

و(السكينة) و(الاستعلاء) **ثانياً**.

وقيمة الثانية في ساحة القتال تزيد على قيمة الأُولى، ولا تغني عنها.

وبهذه القيمة الثانية نصر الله المسلمين ببدر: ﴿**وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ بِبَدْرٍ**﴾ ونصرهم في مواطن كثيرة ويوم حنين: ﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ**﴾.

وطالما غلبت بها الفئات القليلة، عدداً وعُدّة الفئات الكثيرة بإذن الله: ﴿**كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ**﴾.

وأعداؤنا يملكون القوة الأُولى، ولا يملكون القوة الثانية. وهذا هو الفارق الجوهري الكبير بيننا وبينهم في ساحة القتال... على أننا نقول مرة ثانية ونؤكد أنها لا تغني عن قوة السلاح والميدان.

وهذه السكينة والاستعلاء في ساحة المعركة، تبعث في نفوس المقاتلين الطمأنينة والسكون واليقين بمعية الله تعالى لهم في المعركة، وأنّ الله لا يتخلّى عنهم، مهما واجهوا من أوضار المعركة وبأسائها، وإذا اطمأن المقاتل في ساحة القتال إلى معية الله تعالى... اطمأنت نفسه، وسكنت إلى الله، وآمن بنتائج المعركة، وتصرّف وتحرك في ساحة القتال، بكل قوة، وتحمّل بأساء المعركة وضرّائها، بكل ما تتطلّبه المعركة من حيطة وحذر، ولكن من دون قلق وارتباك، وباطمئنان وثقة عاليتين.

وهذه الطمأنينة والثقة بالمعية الإلهية، وليس بالكثرة والقوة.

فإن الثقة بوعد الله ومعيته من (الاعتزاز) بالله تعالى، وهو ما يحبّه الله لعباده، والاعتداد بالقوة والكثرة من (الاغترار) بالنفس وهذا هو العجب، الذي يمقته الله تعالى، والإعجاب بالنفس يمحق ثواب الآخرة، ويحبط مكاسب الدنيا.

ولقد أعجب المسلمون بكثرتهم يوم حنين فانتكسوا في المعركة، وتخلخلت صفوفهم، فلما لجأوا إلى الله، وتضرعوا إليه، نصرهم على أعدائهم، وأنزل عليهم سكينة من عنده في نفوسهم.

﴿**لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا وَعذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَذَلِكَ جَزَاء**

الْكَافِرِينَ﴾[1].

وأنزل الله سكينته على رسوله وأيده بجنود لم يروها يوم خرج من مكة متخفياً وقد حوصر في مغارة مظلمة ضيّقة **﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾**، فكان يقول لصاحبه في تلك الحالة، مطمئناً واثقاً بمعية الله، **﴿لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا﴾**... إنّ الإحساس بمعية الله تعالى في الساعات الحرجة الصعبة يمنح الإنسان ثقة وطمأنينة، لا حدّ لهما، وهو ما يفقده أعداؤنا في ساحات القتال، وفي الساعات الحرجة **﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾**[2].

... علينا أن نكتسب في مواقفنا الصعبة مع العدو الشرس هذا الإحساس بمعية الله، وهذه السكينة النفسية التي ينزلها الله تعالى على قلوب عباده، ساعة البأساء والضراء... فتطمئن قلوبنا بالله، وبمعيته، وبأنه لا يتخلّى عنّا، ولا يُكلُنا إلى أنفسنا، وأنه تعالى يرانا ويسمعنا، فيتحرك المقاتل في ساحات القتال مطمئناً واثقاً بنصر الله... وهذه الخصلة النفسية في ساحة القتال توازي قوة

(١) التوبة: ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) التوبة: ٤٠.

السلاح، بل تزيد عليها، ولا يغني عنها.

وأعداؤنا يفقدون هذه الخصلة بالكامل، ويلبسون السلاح على قلوب مرعوبة، والمؤمنون يلبسون القلوب على السلاح.

وشتان بين من يحمل السلاح وثقته بالله ونصره ومعيته، ومن يحمل السلاح، وثقته في سلاحه وقوته، فإذا خانه السلاح أو غُلب عليه ولّى هارباً.

وهذه السكينة في ساحات القتال، وساعات البأساء والضراء تعم المؤمنين جميعاً، ولا تخص رسول الله ﷺ فإذا عرف الله تعالى منهم: الإيمان، والصدق، والإخلاص، والصبر، أنزل عليهم السكينة، وعندئذ تزيدهم السكينة إيماناً على إيمانهم، وصبراً على صبرهم، وصدقاً في اللقاء على صدقهم، كما أنّ فراغ النفس من الإيمان بالله، والثقة بوعده ونصره والاتكال عليه، يزيد المعرضين عن الله عجزاً وضعفاً وكُفراً.

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَاناً مَّعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾[1].

إنّ السكينة في قلوب المؤمنين لا تنزل إلاّ عندما يعلم الله تعالى منهم: الصدق، والإيمان، والصبر، فإذا علم الله منهم ذلك، رضي

(١) الفتح: ٤.

عنهم، وأنزل عليهم من لدنه سكينة واطمئناناً، فتزول الجبال عندئذ عن مواضعها، ولا يزول هؤلاء المؤمنون من مواقعهم ومواضعهم في القتال.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾[1].

والخصلة الثانية التي يحتاجها المقاتل في ساحات القتال والمواجهة الإحساس بالاستعلاء على العدو، ويكسب المؤمنون هذا الإحساس من موقع الإيمان، فإنّ الله تعالى جعل هذا الموقع في المجتمع البشري موقعاً عزيزاً، دون سائر المواقع **﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾**.

إنّ موقع الإيمان موقع عزيز، يَهَبُ أصحابه العزّة، وذلك أنّ المؤمنين يصلون حبلهم بحبل الله، وحولهم بحول الله تعالى وقوته، فإذا عرفوا ذلك من أنفسهم، لم يفارقهم الإحساس بالعزة.

وهذا الإحساس في النفس، يقترن دائماً بالإحساس بذل العدو، وحقارته، وصغاره... وهذا هو معنى الاستعلاء في المعركة، على العدو...

(١) الفتح: ١٨.

ولهذا الإحساس بالاستعلاء أثران واضحان، على أرض المعركة، في تعامل المؤمنين مع أعدائهم.

الأثر الأول: هو نفي الوهن والضعف من نفوس المقاتلين، إذا واجهوا شراسة وضراوة في لقاء العدو.

والأثر الثاني: هو نفي الحزن عن نفوسهم، إذا وجدوا خسارة ونقصاً في (الأنفس والأموال والثمرات)، فلا يحزن المؤمنون على ما يفقدون في ساحات القتال من نفوس عزيزة وأموال وثمرات، إذا اطمأنوا إلى معية الله تعالى، وأنّ الله تعالى يبصر بهم وبما يبذلون في سبيله من النفوس والأعضاء والجوارح والأموال، ويسمع بهم وهو (السميع البصير).

فلا يضعفون في القتال، عندما يواجهون شراسة العدو وضراوته، ولا يحزنون على ما يفقدون في القتال من الأنفس والأموال، وذلك قوله تعالى: **﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**[1].

وهذه آية عجيبة في كتاب الله تُربّي الأجيال، وتُحكم النفوس المهزوزة، وتبعث القوة في القلوب الضعيفة.

(١) آل عمران: ١٣٩.

ولم تنزل آية الاستعلاء (وأنتم الأعلون) على المؤمنين بعد نشوة الانتصار في معركة (بدر)، وإنما نزلت عليهم بعد مرارة النكسة في معركة (أُحد)، كما قلنا من قبل.

وآية (الاستعلاء) في (آل عمران) تضع النقاط على الحروف، وسبحان منزلها على رسوله. وهي ثلاث نقاط:

١ ـ الاستعلاء على الأعداء في المعركة: ﴿**أَنتُمُ الأَعْلَوْنَ**﴾.

٢ ـ ومصدر هذا الاستعلاء، وهو الإيمان بالله تعالى: ﴿**إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾.

٣ ـ ونتائج الاستعلاء في ساحات القتال وهي نفي الوهن والحزن: ﴿**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا**﴾.

وليس معنى الاستعلاء أن لا يعبأ الإنسان بالعدو، فلا يحتاط له، ولا يوليه الاهتمام والحذر... فهذا من (اللامبالاة) و(الإهمال)، وليس من (الاستعلاء).

والاستعلاء أن لا يكون مرعوباً من ناحية العدو، ولا يشعر تجاهه بالهزيمة، ويطمئن بالنصر من عند الله، ثم يولي العدو كل الحذر والاحتياط، ويُعِدّ له كل أسباب القوة والقتال.

❊ ❊ ❊

(١٤)

(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً)

وفي نهاية هذه الجولة، نذكّر المقاومة الإسلامية (حزب الله) بما ذكّر الله تعالى به المسلمين في سورة (النصر) من الحمد والتسبيح والاستغفار لله، بعد أن أتمّ الله لهم النصر والفتح من عنده.

فقد مرّ هذا (النصر) و(الفتح) الذي جاء به الله تعالى للمسلمين يومئذ، وهذا الإقبال العظيم من الناس على الإسلام أفواجاً أفواجاً... بطريق صعب عسير، في مكة أيام الشدة والعسر، وفي المدينة أيام البأساء والضراء، وتعرّض المسلمون في طريق النصر إلى كثير من الضعف والزلل، والخوف، وإيثار الدنيا، وحبّ العافية، والاختلاف، والشك، وسوء الأحلام والأخلاق، كما عرف الله منهم في هذه الفترة: الإيمان، والإخلاص، والنصيحة، وإيثار الآخرة على الدنيا، وحبّ الله ورسوله، على حبّ الأزواج والبنين والآباء والأُمهات أيضاً....

وهذه طبيعة مسيرة المؤمنين فيها القوة وفيها الضعف، وفيها إيثار العافية، وفيها الرضا بالبأساء والضراء... وها هو النصر قد أقبل عليهم بعد انتظار طويل، وعذاب وعناء. ﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾، فيُذكّرهم الله بما ظهر منهم في أيّام المحنة من الضعف والخوف وإيثار الدنيا والعافية، والشك بوعد الله فيأمرهم بالاستغفار، ثم يذكّرهم بما أنعم الله عليهم من النصر الذي لم يكونوا يستحقّوه بأعمالهم، لولا رحمة الله وفضله، فيأمرهم أن يسبحوه تعالى ويحمدوه.

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾.

إنّ وقفة التسبيح والحمد والاستغفار بعد هذا العبور الصعب إلى الفتح والنصر كان لابد منه للمسلمين يومئذ، ليكفكف نشوة النصر والعجب عن نفوسهم... إنّ هذه النشوة والعجب إذا تمكن من نفوسهم ذهب بكل ثواب المعاناة والعذاب الذي تحمّلوه إلى النصر، وأحبط كل القوة التي اكتسبوها في هذا النصر، فإنّ العُجْب والغرور، كما يحبطان الأجر والثواب يحبطان القوة والاقتدار النفسي والعسكري كذلك... فكان لابد بعد العبور الصعب إلى النصر، أن يُذكّرهم الله تعالى بالحمد والتسبيح والاستغفار.

بالتسبيح والحمد على ما رزقهم الله من النصر، وبالاستغفار على ما صدر منهم من ضعف، وإيثار للعافية، وشح في العطاء، وحب للدنيا، وشكّ في وعد الله.

ونحن نذكّر المقاومة الإسلامية بما ذكّر الله تعالى المسلمين

يومئذ بالتسبيح والحمد والاستغفار.

فلا يمتلكهم الغرور والعجب، فَيَحبطُ عملهم عند الله، ولا تأخذهم نشوة النصر، فإنّ نشوة النصر تشغل الإنسان عن إكمال المسيرة.

وما يستقبلهم من مراحل العمل الصعب في مكافحة إسرائيل وأمريكا أصعب بكثير من الأشواط التي قطعوها في هذا الطريق الصعب.

وليذكروا دائماً أنّ هذا النصر كان بفضل الله تعالى، وليس بجهدهم، وأنّ جهدهم وقوتهم من عند الله وما كسبوه من النصر كان من عند الله.

وقد دخلت قبلهم الأنظمة العربية في هذه المعركة، وكانوا أكثر منهم قوة وعدداً، فلم يهزموا إسرائيل، ولم يكسبوا من النصر ما رزقهم الله تعالى، فليكثروا من تسبيح الله وحمده، على ما رزقهم من النصر، والقوة، والسلطان، والعزة، وما ألحقوه بعدوّهم من هزيمة منكرة، وأي موضع أحرى بالحمد والتسبيح لرب العالمين من هذا الموضع؟!

وليعرف المسلمون في أدبياتكم وإعلامكم هذا التسبيح والحمد، كما عرفوا منكم صولاتكم، وبسالتكم في مواجهة العدو.

وأكثروا من الاستغفار في نهاية هذا الشوط مما يستغفر منه عباد الله الصالحون.

واسألوا الله النصر للشوط القادم من المعركة، الذي لابد منه، وليعرف المسلمون من أدبياتكم وإعلامكم هذا الاستغفار والتواضع بين يدي رب العالمين، وأي موضع أحرى بالاستغفار والتواضع والخضوع والخشوع وعرفان الجميل بين يدي الله من هذا الموضع.

وليست هذه الجولة هي نهاية هذه المعركة الصعبة، فإنّ من بعد هذا الشوط أشواطاً من القتال العسير، ولابد من الآن الاستعداد للأشواط القادمة، وصدق الله العليّ العظيم حيث يقول: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾، إذا فرغتم من مرحلة من مراحل العمل الشاق فلا تخلدوا للاسترخاء، فإنّ الاسترخاء يسلب الإنسان حرارة العمل، وإذا فقد الإنسان حرارة العمل، لا يسهل عليه أن يستعيدها من جديد.

وإنّ أمامنا معركة طويلة لمكافحة الاحتلال والنفوذ الأمريكي الإسرائيلي في العالم الإسلامي.

وأمامنا صراع طويل لمكافحة أنظمة الاستكبار العالمي في العالم الإسلامي، وما لم نتحرّر من نفوذ الاستكبار العالمي على العالم الإسلامي لا تنتهي هذه المعركة الضارية.

وفي هذه المعركة لابد من أن نحافظ دائماً على إستعدادنا الكامل لخوض المعركة، في أي وقت، ولا نركن إلى الاستراحة بعد الشوط الأوّل من المعركة والنصر، وهو قوله تعالى ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾... إذا فرغت من شوط من أشواط المعركة، فانصب للشوط القابل، ولا تركن إلى العافية والاسترخاء.

ولابد أن نوجّه وجوهنا في هذا الاستعداد والتأهب، لله تعالى أن لا يَكلنا إلى أنفسنا، وان يُمدّنا بالنصر والفتح، وأنْ لا يحرمنا نصره وتأييده، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾.

أجل، بعد هذه الجولة من تأييد الله ونصره، وما ألحق الله بأعدائنا من هزيمة منكرة، علينا أن نجدّد لله تعالى التسبيح، والحمد، والاستغفار، والدعاء، ليواصل علينا نصره ورحمته.

﴿إِذَا جَاء نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّاباً﴾[1].

صدق الله العلي العظيم

---

(١) النصر: ١ ـ ٣.

الفهرس